المواكب الحسينيّة

وتوحيد المسيرات العزائيّة في العالم

تأليف: الشيخ مكّي فاضل حسن

الإهداء

إلى مَنْ تحمّل العناء في تربيتنا ونشأتنا وعشنا في ظله، والذي كان برغم عوزه وقلّة يده ما كان يردّ لنا طلباً نطلبه يوم كنّا صغاراً؛ فبذل الكثير من أجلنا، وتحنّن علينا بعطفه ونحن كباراً، وما لاقاه من الظلم والإهانات من أجلنا ونحن في بلاد الغربة والمهجر. إلى روح المرحوم الوالد الغالي أهدي هذا الكُتيب والمجهود الطيب؛ خدمة لسيد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

وأسأل الله أن تشملنا وإيّاه شفاعته، ويجعلنا من المرحومين بهم في الدنيا والآخرة.

مقدّمة المؤلّف

« السّلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين، ورحمة الله وبركاته »

منذ أن فتحت عيني على الحياة وأنا أنظر إلى مواكب عزاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، والناس في هذه المسيرات العزائيّة الولائيّة الخالدة قد تجلببوا بالسواد، وأراهم ما بين لاطم على صدره بيده، وما بين مَنْ يضرب على ظهره بالزنجيل، وما بين مَنْ يطبر جبهته ويدميها. هذه الأصناف من المشاهد انطبعت في ذهني وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتي.

وبعد أن اشتد عودي ووقفت على رجلي أخذت أعزّي مع المعزّين، وألطم مع اللاطمين بشكل تلقائي وعفوي وفطري. هذا الاندفاع العاطفي الحماسي الوديع ولو كان على غير دراية إلاّ أنّه منحني عشق الحسين عليه السلام ، ورضعت حبّه وولاءه منذ نعومة أظافري، فأصبحت المسيرات العزائيّة المقدّسة لها قدسية خاصة في نفسي، ولا أسمح لأيّ مخلوق كائن مَنْ كان أن يمسّ بالإضرار بها وبقدسيتها.

مكّي فاضل حسن الدمستاني

البحرين - الدمستان

٢٠ / ٧ / ٢٠٠٧ م

هدف المواكب الحسينيّة

الموكب الحسيني هو عبارة عن التحرّك الجماهيري للأمّة بقيادة الإمام المعصوم أو نائبه في عصر الغيبة الكبرى من أجل تحقيق أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام. ولا زالت تراودني في الذاكرة هذه الحقيقة الذهبية من الذكريات، حيث إنّي مع التدرّج في مدارج الحياة، والتقدّم في العمر، وحضوري إلى مجالس العزاء التي تُقام في مآتم منطقتنا أدركت ثلاثة أهداف لاستمرارية وبقاء هذه المواكب الخالدة:

أوّلاً: الهيبة المميّزة في النفوس

إنّ العزاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام له هيبته المميّزة في النفوس، وهذه الهيبة جعلٌ خاص من الله تعالى خصها لاستمرارية العزاء الحسيني إلى يوم الدين، لا تفقد هذه المواكب هيبتها ولو حاول البعض من أصحاب النفوس الدنيئة والساقطة والحاقدة على المعزّين أن توقف المسيرات الحسينيّة عن طريق التشويه والعنف والإرهاب.

ولقد استمد شيعة أهل البيت عليهم السلام هيبتهم من هيبة عزاء الموكب الحسيني؛ لأنّ في هذه المواكب المقدّسة حشود ولائيّة وهي غاضبة على الظلم، وترفض الظالمين في كلّ زمان ومكان، وفي كلّ جيل من الأجيال، وترفع باستمرار هذا الشعار **(يا مظلوم يا حسين)**، **(يا لثارات الحسين)**.

ثانياً: العزاء الحسيني يذوّب الكبرياء من النفوس

في أثناء السير على الأقدام في المسيرات العزائيّة تجد المشاركة الفعلية بين القوي والضعيف، وبين الغني والفقير، لا فرق بينهما في هذا المشهد الذي ليس له نظير إلاّ في حج بيت الله الحرام، وبعد الانتهاء من العزاء الكل يجلس على مائدة الإمام الحسين عليه السلام لأخذ البركة من ذلك الطعام الذي يعدّ في الواقع والحقيقة دواء لكلّ داء. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عظمة نفوس المعزّين الذين ذوّبوا الكبرياء والطغيان من النفوس، وذابت بينهم الفوارق المادية.

ثالثاً: مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام وتأثيرها العاطفي على النفوس

إنّ تصوّر مأساة واقعة الطفّ وما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته من بعده تشعل جمر اللوعة والحرارة في قلوب الموالين والمعزّين؛ ممّا تدفعهم وبقوّة لإحياء المسيرات الرثائيّة العزائيّة بكلّ صمود وتحدي، ومهما كلّف الثمن من تضحيات، كل ذلك يعد رخيصاً لما قدّمه سيد الشهداء عليه السلام.

فكلّما نقدّمه ونبذله من عاطفة جياشة ودموع مالحة غزيرة إنّما تعني عن تعبير لتلك العاطفة الحارة التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال: " **إنّ لقتل ولدي الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً** ". أسأل المولى جلّ ثناؤه أن يجعل هذه الحرارة ووهج هذه العاطفة في قلوبنا؛ لكي تشملنا ألطاف الحسين عليه السلام ورحمته وشفاعته.

المنشأ التأريخي للمواكب العزائيّة

منذ استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أُصيب الشيعة بجرح عاصف لم يندمل؛ فحقّ لهم التعبير عن تألمهم. ولو أنّهم وجدوا الحرية الكاملة في عهود الأئمّة المعصومين عليهم السلام لأقاموا هذه الشعائر القائمة اليوم أكثر، ولكن أنّى لهم ذلك وسيوف حكّام الجور مشرعة في وجوههم. وبالرغم من هذا كلّه تمرّدوا على المحن، وأبوا إلاّ انتزاع حرياتهم رغماً عن الزمن؛ بالقوّة تارة، وبالتضحيات أُخرى.

والمواكب الحسينيّة واحدة من مفردات هذه الشعائر الحسينيّة التي تأخّر خروجها عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام حتّى سجّل التاريخ صفحات ناجعة لأمراء البويهيِّين؛ حيث إنّهم احتضنوا هذه الشعائر فأخرجوا المآتم من الدور والبيوت إلى الأسواق والشوارع حتّى حوّلوها مواكب مشهودة ومهرجانات مفجعة في مهدها الأوّل العراق وإيران؛ حيث مركز حكومتهم وسلطانهم الذي ابتدأ سنة ٣٣٤ هـ وانتهى ٤٦٧ في أواسط الحكم العباسي، بالرغم من معارضات ومخالفات معظم الخلفاء العباسيِّين لهم على هذه المواكب.

ولم يأبه البويهيّون لهذه المعارضات؛ لأنّ الحكم الحقيقي والسلطة الفعلية سقطت من أيدي الخلفاء العباسيِّين، ولم يبقَ لهم غير الاسم المجرّد؛ إذ صارت بأيدي البويهيِّين.

وقد نصّ أكثر من مؤرّخ أنّه في سنة ٣٥٢ هـ أمر معزّ الدولة أحمد بن بويه في العشر الأُوَل من المحرّم ببغداد بإغلاق جميع أسواق بغداد، وإبطال البيع والشراء، وأن يلبس الناس السواد، وأن يُقيموا مراسم العزاء، وأن يُظهروا النياحة، وأن يخرج الرجال والنساء لاطمين الصدور والوجوه.

وكان معزّ الدولة البويهي يرتدي رداء الحِداد والحزن، ويتقدّم عسكره المشترِك في هذه المواكبِ، وقد جعل يوم عاشوراء عطلة رسمية في الدوائر الحكومية إلى أن تطوّرت تلك المواكب والمآتم بتطوّر ساسة الحكومات التي كانت تتولّى السلطة في إيران أو العراق.

وكان بعض أكابر الطائفة الإماميّة يشارك في هذه المواكب، كأمثال العلاّمة السيد محمد مهدي بحر العلوم المتوفّى سنة ١٢١٢ هـ، فقد كان يتقدّم أمام هذه المواكب، ولما سُئل عن سبب اشتراكه في هذا العزاء أجاب: أنّه رأى في المنام الإمام الثاني عشر صاحب الزمان (عجّل الله تعالى فرجه) مشتركاً في هذا العزاء.

ناهيك عن كبار الشعراء الذين كانوا يشتركون به أمثال الكعبي وعظماء المجتهدين والفقهاء الشيعة كالشيخ زين العابدين المازندراني وغيره.

لو رجعنا بالذاكرة إلى الوراء لتبيّن لنا في تلك الفترة والحقبة الزمنية التي مرّت في عهد الأجداد (رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين) كان العزاء الحسيني يختصر على الردادية فقط، بحيث ينتهي الخطيب الحسيني من القراءة فيبدأ الرادود يردّد القصيدة على المستمعين وهم جلوس في المأتم، ويلطمون على رؤوسهم وصدورهم.

هذا الحال كما حدّثنا أحد الأجداد (رحمه الله تعالى) قال: هذا من قبل قرابة مئة وخمسين سنة، يقول: ثمّ بعد ذلك تطوّر الأمر إلى أن الخطيب نفسه هو الذي يأتي بالقصيدة بعد مجلس العزاء، ويقف المعزّون بجانب المنبر ويلطمون لمقدار ساعة أو ساعة ونصف، ثمّ ينهون العزاء بلطميات عزائيّة، فاستمر هذا الحال إلى ما قبل الأربعينيات.

من بعد هذا العهد بدأت المواكب العزائيّة تكبر، والأجيال تتنامى إلى أن تطوّر العزاء الحسيني وانتقل من المأتم إلى الخارج, ولكن في حدود ساحات المآتم فقط لا يتعدى أكثر من هذه المسافة، وبدون مكبّرات للصوت؛ لأنّ هذه وسائل أتت في العصور المتقدّمة الحديثة.

فاستمر العزاء على هذا الحال إلى أن شيئاً فشيئاً أخذ الناس يقطعون مسافات أكبر وأكبر إلى أن وصل اتساع المواكب العزائيّة بهذا الانتشار الواسع الذي نلحظه الآن. وهذه شذرات مثمرة من تلك الشجرة المشرقة الوضّاءة التي غرسها الأجداد والآباء، وحافظوا على نموّها حتّى وصلتنا على هذه الهيئة.

أقول: كما إنّ أجدادنا وآباءنا عملوا واجتهدوا وأسسوا لنا هذا الأساس الرائد نحن يجب علينا أن نجتهد ونجاهد حتّى نوصل رسالة الموكب الحسيني للأجيال الولائيّة القادمة التي ستأتي من بعدنا.

وحول مسيرة المواكب الحسينيّة المقدّسة أُثيرت خمسة أسئلة أُحاول في هذا الكُتيّب الإجابة عليها بحسب خلفيّتي البسيطة، وأسأل الله أن تعمّ لي ولكم الفائدة والله ولي التوفيق.

أبرز مظاهر العزاء الحسيني

س١: ما هي أبرز مظاهر عادات الشعائر الحسينيّة؟

هناك مجموعة ممارسات لشيعة أهل البيت عليهم السلام يبدون التقيّد بها في أيام المواسم العزائيّة، ونراها ظاهرة وجليّة في المواكب العزائيّة:

أوّلاً: استحباب الحداد

التفرّغ من أجل إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام هو أمر استحبابي؛ ولأجل التعبير عن الحزن والأسى لما جرى عليهم من ضيم نعلن مواساتنا للنبي الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله ، ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولفاطمة الزهراء عليها السلام ، ولباقي الخيرة المعصومين إلى آخرهم القائم المهدي (عجّل الله تعالى فرجه وأرواحنا لتراب مقدمه الفداء).

ففي تاسوعاء وعاشوراء نتقيّد بالحداد العام، ونعطّل عن الأعمال من أجل المشاركة في مراسيم العزاء، وإحياء هذه الشعيرة المقدّسة، وهذا أقلّ ما نستطيع أن نقوم به كموالين لأهل البيت عليهم السلام .

ثانياً: لبس السواد ونزع الزينة

بلا شك أنّ السواد هو شعار الحداد، وهو يرمز إلى الجزع والكآبة والحزن على مصاب ذرّيّة الرسول ﷺ ، وكلّ جزع مكروه إلاّ الجزع والحزن على الإمام الشهيد عليه السلام ، فهل يُعقل من المعزي أن يتظاهر بأفخر الثياب والزينة وحجّة الله مولاه الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء جرّدوه الأعداء اللئام من ثيابه، وتركوه عارياً حيث بقي على رمضاء كربلاء ثلاثة أيام بلا غسل ولا دفن؟!

ولو لم يكن لنا من مصيبته إلاّ هذه المصيبة الأليمة لكفتنا أن نملأ الأرض كلّها بالسواد، ونتجلبب بالسواد لتخليد ذكراه.

ثالثاً: اللطم على الصدور والرؤوس

جميع الفقهاء، سواء القائلون بالحرمة وغيرهم، اتفقوا على جواز اللطم والجزع على سيد الشهداء عليه السلام : (**كلّ جزع مكروه إلاّ على الحسين** عليه السلام).

ورد من جملة وقائع كربلاء أنّ أهل البيت عليهم السلام بعد عودتهم من السبي التقوا مع جابر الأنصاري وجمع من بني هاشم. يقول ابن طاووس في تصوير المشهد: فوافوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم.

هذا اللقاء العفوي والطبيعي رافقه ردّ فعل شعبي عام تمثّل باللطم، وهذا الأمر كان متعارفاً في العصور المختلفة، وقد كان على مرأى ومسمع من الأئمّة عليهم السلام الذين لم يردعوا عنه كما ردعوا عن الجزع واللطم والتفجّع على الأخ والأب والقريب. فاللطم مظهر مقدّس في سبيل إحياء ذكريات المعصومين المظلومين عليهم السلام، وتتفرّع منه عناوين كثيرة من جملتها:

١ - الترويج لأهل البيت عليهم السلام.

٢ - إحياء ذكرى عاشوراء وإبقاؤها حيّة في النفوس.

٣ - إظهار الجزع على الحسين عليه السلام كما ورد في المعتبرة.

٤ - إظهار مظلومية آل النبي صلى الله عليه وآله.

وهذه العناوين معترف بها فقهياً، وتوجب رجحان متعلّقاتها ومنها اللطم على الصدور، وهو من أبرز مظاهر الشعائر الحسينيّة في المواكب العزائيّة.

اللطم جائز بل مستحب؛ للحديث الشريف: « **على مثل الحسين فلتلطم الخدود، ولتُخمش الوجوه ...** ». ولقد لطمنَ الفاطميات (عليهنَّ السّلام)[1].

كلّنا ندرك أنّه تعظيماً لشعائر الله نحن نلطم على صدورنا؛ ولأنّ الصدر هو موقع ما داس الشمر اللعين على أمامنا الحسين عليه السلام.

---

(١) راجع مقتل عبد الرزاق المقرّم.

رابعاً: ضرب الظهر بالزنجيل

هذا اللون من العزاء يعبّر عن مدى تفاعل المعزّين في الموكب العزائي، ويعبّر عن مدى الأشجان التي تختلج في الصدور الملتهبة وهي تحمل في داخلها ثقل المأساة الكربلائيّة؛ فليس اللطم وحده هو الذي يعبّر عن حجم ثقل مصائب المعصومين عليهم السلام، وإنّما في عقيدة الموالين إشراك جميع أبدانهم بما فيها الظهر يفدون بذلك سبط النبي المذبوح.

والزنجيل يُضفي على المسيرة العزائيّة الحماس الجماهيري والتفاعل العاطفي، كذلك لا يختصر على سن معين من المعزّين، بل يشترك فيه مختلف الأعمار في إطار دائرة الموكب الحسيني، حيث يشترك فيه الشيخ المسن، والشاب اليافع، والأطفال الصغار بمختلف أعمارهم.

أيضاً عزاء الزنجيل يُعطي للموكب العزائي خصوصية خاصة في تلحين القصائد الرثائيّة التي ينشدها ويردّدها الرواديد بأصوات حزينة ومؤثّرة.

وهذا اللون من العزاء قد يتعجّب منه سائر الناس من أصحاب الفرق والأديان والمذاهب المتعددة دون المذهب الإمامي، أمّا نحن الإماميّة فقد تعوّدنا على هذه المشاهد منذ طفولتنا، وسنحيي هذه الشعيرة بقوة وبحماس وبدون تردد، وسيبقى عزاء الزنجيل شعيرة دينية يواسي بها عشاق الولاية مصاب أهل البيت عليهم السلام في كلّ زمان ومكان.

خامساً: التطبير وضرب القامة بالسيف

هذا الشكل من العزاء المهيب والمثير والرهيب جعل العالم بأسره يهتزّ من أعماقه؛ منهم مَنْ وقف موقف من الشيعة وقال فيهم: مجانين، ومنهم مَنْ وقف من الشيعة وقال: هؤلاء الذين يدمون رؤوسهم أصحاب بدع وخرافات، ومنهم مَنْ وقف من الشيعة موقف المحايد ولم يبتّ برأي في التطبير؛ حفاظاً على العلاقة والصداقة.

ومن الناس مَنْ وقف موقف المعادي والحاقد على الشيعة ومذهبهم كالنواصب والوهابيِّين، والآخر من جماهير الأُمّة مَنْ وقف موقف المتعاطف ويقول: شيعة أهل البيت عليهم السلام لا يلامون، وإمامهم الذي يقتدون به هو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد مثّل به الأُمويّون شرّ تمثيل، وأراقوا دمه الطاهر، فهم يجرحون رؤوسهم؛ وفاء للتضحية الجسيمة التي قدّمها لأمّة جدّه محمّد صلى الله عليه وآله وشيعة أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولِما قدّمه لإحياء الدين.

هذه المواقف المتعدّدة والمغايرة في عزاء التطبير، المعادية منها والمتعاطفة والمؤيدة، كلّها تصبّ في مشروعية هذا النوع من العزاء الدامي من حيث مشروعيته وعدم مشروعيته.

إنّي في هذا المقام ليس في صدد تناول فتاوى الفقهاء العظام؛ مَنْ أفتى بالحرمة، ومَنْ أفتى بالجواز، أعتقد أنّ مسألة التطبير مسألة خلافية واضحة بين فقهائنا (رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين)، ففي هذا الشأن كلّ منّا يتبع مقلّده ويلتزم بفتواه، ونعزّي الحسين عليه السلام بنيّة خالصة.

وفي هذا الصدد أضمّ صوتي مع صوت أُستاذي سماحة الشيخ فوزي آل سيف (حفظه الله تعالى) حيث ردّ على سؤال السائل وقال: التطبير (جرح الرأس بالسيف)، والضرب بالسلاسل، وإدماء الظهر ما وقع فيه الاختلاف (مشروعية أو استحباباً)؛ سواء كان ذلك بالعنوان الأولي أو العناوين الثانوية الطارئة.

ثمّ تابع القول سماحة الشيخ وقال: إنّ شعائر الحسين عليه السلام على اختلاف طرقها وأساليبها يوجد بينها قاسم مشترك، والقاسم المشترك بينها كما يفترض هو أن تساهم في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وإن اختلف البعض في أنّ هذا يساهم أو لا يساهم في إحياء أمرهم، لكن غرضها الأقصى والقاسم المشترك بينها هو الإحياء، فلا يصح أن يحوّلها أتباع أهل البيت عليهم السلام إلى ساحة معارك داخليّة تنتهي إلى إضعاف أمر أهل البيت عليهم السلام[1].

نعم يا أحباب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، إنّ هذا الطرح الوسطي المعتدل يجعلنا نحيي الشعيرة الحسينيّة المقدّسة بما فيها مسيرة الموكب العزائي، ونحن بتمام الثقة والاطمئنان إنّ لطمنا وعزاءنا، وكلّ شيء نقدّمه لأهل البيت عليهم السلام فهو مقبول لديهم إنشاء الله تعالى.

لكن الشيء الذي يؤسفني ويؤسف كلّ محبّ لأهل البيت عليهم السلام هو لماذا يقف البعض موقف المتشنّج والمتعصّب، وكأنّه يريد أن يلغي عزاء التطبير من قائمة الوجود، وفي مصلحة مَنْ إبداء هذه المعارضة؟

أقول: أنت مرجعك الذي تقلّده لا يجوّز التطبير، ابقى يا أخي على تقليدك، واحتفظ بإخوّتك وصداقتك مع إخوانك الذين مرجعهم يجوّز التطبير، وهذا هو المطلوب. ولو راجعنا أنفسنا قليلاً لوجدنا بأننا كلّنا نسير على هدف واحد، وتحت راية واحدة، وهي راية المراجع العظام، وتحت قيادة الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وفكّروا أيّها الأحبّة في أسرار هذا الكون بعد استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ستلاحظون أنّ الكون بما فيه من أفلاك بكى عليه عليه السلام، بل السماء لأجله أمطرت دماً، ولم تجد في ذلك اليوم حجراً إلاّ وتحته دماً عبيطاً، هذا ما ورد في النصوص التاريخيّة.

---

(١) راجع الخصائص الكبرى ٢ / ١٢٦، تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩، تذكرة الخواصّ / ١٥٥، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٨٩.

ورد في مقتل الحسين لأبي مخنف قال: لما قُتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً، فأصبحت الحباب والجرار وكلّ شيء ملآن دماً، ولم يُرفع حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط. ولما دخل الرأس المقدّس إلى قصر الإمارة سالت الحيطان ومطرت السماء دماً.

أيّها الأحبّة، ينبغي لنا أن نقف عند هذا النص ونتأمّل كيف أنّ السماوات والأرضين بكت الحسين عليه السلام دماً، فنحن لماذا نستكثر على أبيّ الضيم ذلك ولا نُعطي اليسير البسيط من دمائنا ونحن نعبّر عن عواطفنا تجاه مظلوميته؟ فدعوا الذي يستاء من مشهد عزاء التطبير، يستاء ولو أنفقنا ما في الأرض ذهباً لم ولن يغيّروا مواقفهم الشاذة والمتصلّبة ضدّنا وضدّ مذهبنا.

دعك عن الفتاوى المتعدّدة الأوجه التي يثيروها بين الحين والآخر في تكفيرنا وإباحة دمائنا. إذاً لماذا المحاباة وهشاشة الموقف أمام هذه الفئات الضالّة المضلّة التي ما عرفت من الدين إلاّ التكفير والبدع، والشرك والتعنيف؟!

ثمّ هل من المعقول أن نضرب بفتاوى فقهائنا ونتخلّى عن مبدئنا ومعتقدنا من أجل خاطر فلان من الناس وهو حاقد وناقم على عزائنا من أساسه، ويقول: إنّ عزاء الشيعة على الحسين عليه السلام كلّه بدعة من بدع الضلال؟!

وأيّ وحدة تقوم بيننا وبينهم وكبار علمائهم يجوّزون ويباركون تفخيخ السيارات، ويترصّدون لأتباع أهل البيت عليهم السلام في كلّ مكان، ويفجّرونها في أوساطهم، ويهلكون الحرث والنسل، ويذبحون العلماء، والكبار والصغار، والنساء، ويهدمون بيوت الله ومقدّساتنا ويخربوها؟!

دماء الشيعة رخيصة للحسين عليه السلام

السؤال الذي يفرض نفسه هنا ولا بدّ من تبيان الإجابة عليه هو: لماذا بعض المعزّين من الشيعة يجرحون جباههم وتسيل دماؤهم على وجوههم؟ ولماذا يطبّرون وهم يرتدون الألبسة البيضاء كهيئة الأكفان؟

لا بدّ أن يعرف كلّ مَنْ يهمّه هذا التساؤل مجموعة من الحقائق المعنوية الروحية التي تربط بين الإنسان ومعتقده.

أولاً: من المألوف أنّ مشاهد الدماء مقزّزة للنفس، وهي من الأشياء الغير محبّبة لمشاهدتها، فكيف يقدم الموالي المعزّي عليها ويستحسنها ويدمي نفسه؟! فالأمر هنا لا يخلو من سرّ خفي، وهو يكمن في مدى معرفة هذا الإنسان للبذل والفداء والتضحية (والمعروف على قدر المعرفة).

فهؤلاء عرفوا إمامهم الحسين عليه السلام تمام المعرفة إلى درجة اليقين؛ حيث إنّهم أيقنوا بأنّ دماءهم ليس أغلى من دم إمامهم؛ لذلك هم يرخصون كلّ شيء في سبيله كما هو أرخص كلّ شيء لهم، وقدّم حتّى طفله الرضيع المذبوح من الوريد إلى الوريد؛ فداء للحفاظ على الدين، وشرف وكرامة الأُمّة.

ثانياً: إنّ من الحقائق المبدئيّة الروحية التي ينصّ عليها العرفانيّون في كتبهم العرفانية شيء اسمه (وله العشق)، والذين يهرقون دماءهم بهذه الصورة العفوية هؤلاء وصلوا إلى رتبة أنّهم عشقوا مولاهم الحسين (أرواحنا فداه)، وما هذه الدماء الشريفة التي تجري من رؤوس الموالين إلاّ تنمّ عن المستوى الراقي الذي وصلوا إليه في حبّ الحسين وتضحيته الدامية، جعلنا الله وإيّاكم أن نكون من عشّاق الحسين عليه السلام .

ثالثاً: حمرة الدم في المواكب العزائيّة الحسينيّة ترمز إلى حمرة دماء سيد الشهداء عليه السلام، ودماء الصفوة البررة الذين استشهدوا معه من أهل بيته وأنصاره في ساحة الطفّ والفداء.

وأمّا هزّ السيف بتلك القبضات الحسينيّة فإنّها ترمز للقوّة، وأنّ الحسين عليه السلام يمثل القوّة في حياته وفي مماته؛ من هنا يتبيّن أنّ المنتصر الحقيقي في المعركة ليس يزيد بن معاوية، وإنّما المنتصر هو حسين الخلود، وحسين البقاء.

ظنّوا بأنّ قتل الحسينَ يزيدُهمْ لكنّما قتل الحسينُ يزيدا

فإذا قبض المعزّون السيوف وهزّوها وقاموا قائمين على سيوفهم فإنّهم يتقلّدون الشجاعة والتضحية والفداء، ويرتقبون ذلك اليوم الذي يأذن الله لوليه صاحب العصر والزمان المهدي الموعود (عجّل الله تعالى فرجه، وأرواحنا لتراب مقدمه الفداء) يقوم بالسيف، ويأخذ بثأر جدّه الحسين عليه السلام، ويرفع شعار **(يا لثارات الحسين).**

فالمعزّون الشيعة عندما يلبسون اللباس الأبيض على هيئة الكفن ويتقلّدون بالسيوف، هو تعبير يرمز إلى أنّهم قد جنّدوا أنفسهم لذلك اليوم المعهود. لا سيما أنّ هناك رواية منصوصة تقول: إنّ الإمام الحجّة عليه السلام يخرج يوم العاشر من المحرّم الحرام في يوم الجمعة.

نعم أقول: إنّ الشيعة ليس بمجانين، ولا بخارجين عن الملّة، ولا بأصحاب بدع وضلال كما تقوّلت عليهم الأقاويل الشاذة والمغرضة، وإنّما الشيعة هم أمّة موحّدة تحمل رسالة مقدّسة، وهي رسالة الإسلام، وتعظيم شعائر الله تعالى تحت إطار القيم المبدئية والشرعية في الدين الحنيف.

سادساً: القصائد الرثائيّة الحسينيّة

من خلال تتبعنا وملاحظاتنا لمسيرة بعض المواكب التي تخرج يوم عاشوراء في المنامة وغيرها من المناطق في البحرين، نلاحظ أن أكبر شيء محرّك للعزاء هي القصيدة، فإذا كانت القصائد ذات كلمات مفهومة أدبية بلاغية قوية هادفة فإنّ الجماهير تتأثر بها، بل في غالب الأحيان تردّدها وتحفظها وتصبح أُنشودة على كلّ لسان.

فالقصيدة الرثائيّة هي قطب الرحى المحرّك للمواكب العزائيّة، فلنهتم يا أحباب الحسين عليه السلام بنظم القصائد الولائيّة الهادفة التي تمثّل عصب الرثاء، ونهتم بالموروث الأدبي الحسيني.

ولدينا من أدب الطفّ الكثير من المخزون التراثي من أدباء ماضين ولاحقين معاصرين، وهناك من دواوين حسينيّة فيها من القصائد الرائعة في التصوير والتشبيه ما هو مستفيض كالبحر المتلاطم.

أيضاً هناك من الرواديد المبدعين الذي هو يختار نمط القصيدة له من وزن وقافية؛ فيقولب المستهل، ويبحث عن أدباء وشعراء ويطلب منهم أن ينظموا له وزناً استعراضياً رائعاً بحسب ما هو يريد ويرغب ويتكيف معه أثناء الأداء.

وهذا الإبداع جميل ومستحسن، ويسهم إسهاماً كبيراً في انماء استقامة الموكب العزائي، ويضفي على العزاء روح الإقبال والمشاركة من الجميع (ورحم الله مَنْ عمل عملاً فأتقنه).

سابعاً: تمثيل الشبيه وتصوير الحدث

إنّ هذا اللون الاستعراضي الرائع يصوّر لنا قافلة الرسالة والاستشهاد، ويجسّد لنا حركة أبي عبد الله الحسين عليه السلام منذ أن خرج من وطن جدّه الحجاز مهاجراً إلى أرض العراق وحتّى أن استشهد وأحرقوا خيامه بالنار؛ حيث تشاهد في الشبيه مشاهد للخيول، ومشاهد أُخرى للجمال محمّلة عليها الهوادج، وتشاهد أمامك ساحة من الساحات خُصّصت لنصب الخيام، وبعد ظهيرة يوم العاشر تُحرق بالنار، وترى فيها أطفال ونساء وهنّ يصرخن ويتفاررن في البيداء.

هذه المشاهد بلا شك تجعل المشاهدين الذين يشاهدون العزاء في صورة الحدث التأريخي المأساوي المحزن، ولما جرى على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من قتل وتمثيل وتنكيل، وسلب ونهب، وسبي وحرق للخيام، فدعونا لا نغفل عن القيام بتشبيه هذا الدور المؤثر الذي لا أعتقد أنّ هناك في الوجود إنسان ذو قلب رحيم يراه ولا يتأثر بمشاهدته له.

وحول التفصيل عن دور الشبيه المؤثر في العزاء الحسيني راجع كتابنا الآخر (الحسين سفينة نجاة العالمين).

ثامناً: الرايات والأعلام العزائيّة الملوّنة

كلّ فاتح وثائر في هذه الحياة تُعقد له راية باسمه، والحسين عليه السلام أبو الثوار وقائد الأحرار، وهو عظيم العظماء، ورايته الحسينيّة المظفّرة تفوق كلّ راية العظماء والفاتحين؛ إنّها راية العزّة والكرامة والحرية، وهي راية الحمد التي حملها جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته، وحملها أبوه أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه، ولما دنت منه الوفاة سلّمها إلى الحسن المجتبى عليه السلام ، ثمّ لما دنت وفاته سلّمها لأخيه الحسين عليه السلام وهكذا.

هذه الراية المقدّسة تدرّجت في مدارج التناول من يد إمام معصوم ليد إمام آخر، إلى أن تسلّمها الإمام الثاني عشر الحجّة المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، وسوف يأتي بها في ظهوره وينشرها، وقد كانت خضراء، لكنّه عليه السلام يستبدلها باللون الأحمر؛ لأنّ راية جدّه الحسين عليه السلام امتزجت بالألوان الثلاثة، باللون الأسود وهو لون الحداد والحزن والجزع.

وبهذا اللون الكاتم سخّر الله تعالى لوليه الحسين عليه السلام شيعة تحيي ذكرى مصابه بالتوارث جيل بعد جيل، وهم قابضون بأيديهم الأعلام السوداء، مكتوب عليها: **(يا مظلوم يا حسين)**، ويلوّحونها في مسيرات المواكب العزائيّة.

واللون الثاني هو اللون الأحمر، وهو لون الدم والشهادة الدامية، وقد تراءت هذه الحمرة في كبد السماء حين قُتل الحسين عليه السلام في يوم العاشر من المحرّم سنة ٦١ هـ.

واللون الثالث هو اللون الأخضر، هذا اللون الذي جرح قلب العقيلة زينب عليها السلام حينما جاءت من بعد مصرع أخيها، فرأت جسد حجّة الله ملقى على الأرض وقد صهرته الشمس بحرارتها، وغيّرت لونه ومحاسنه وقلبته إلى الاخضرار.

وأمام هذا المشهد تحيّرت بطلة كربلاء، وأخذت تحلّق بنظراتها إلى جثث القتلى إلى أن وقع بصرها على جثة الحسين عليه السلام ؛ لأنّه - بأبي هو وأُمّي - قد تغيّر جسده الطاهر عليها. فنحن الشيعة عندما نحمل هذه الرايات الثلاث الملوّنة ونلوّح بها في مسيرات العزاء ليس اعتباطاً، إنّما هي ترمز لهدف مبدئي مقدّس.

تاسعاً: اللوحات الفنّية للرسّامين والخطّاطين

إنّ في هذا المظهر الحيوي الهام إبداعات جميلة يتعشّقها كلّ هواة الفن؛ لِما يشبع نهمهم ويروي ظمأهم من مناظر فنّية لا يتذوّقها إلاّ صاحب الذوق الرفيع، ومَنْ له اهتمام بالموروث الديني والثقافي، والاجتماعي والروحي والحضاري.

وهنا لا بدّ لنا من وقفة مع ريشة الفنان الرسّام الحسيني الذي يُبدع في تصوير حادثة الطفّ، ويرسم لنا تلك اللوحات المأساوية، ونحن لا نراها إلاّ جاهزة ومعلّقة على حيطان المآتم، وفي الطرقات، وأثناء انطلاقة المواكب العزائيّة.

وكذلك الأمر لذلك الجندي المجهول الذي يعمل دائماً من تحت الستار، وهو ذلك الخطّاط حينما يخطّ بقلمه الشعارات الحسينيّة وغيرها من أقوال المعصومين عليهم السلام في مختلف مناسباتهم، وهو يحاول إبراز دقّة فنّه؛ لكي يظهر بالمظهر الذي يتماشى مع حجم الحدث العاشورائي وغيره من المناسبات العظيمة.

ماذا يرسم لنا الرسام في المواكب العزائيّة؟

في الغالب نرى الرسام يتأثّر بمرأى واقعي معين، أو بمشهد مبكي حزين، أو بطبيعة معينة، أو بحدث تأريخي معين، أو بشخصية ما؛ سواء كان هذا التأثر في الواقع أو في الخيال، فتتحرّك في داخله الرغبة الإبداعية فيُبدع ويرسم حتّى يصل إلى مبتغاه، ويخرج لنا لوحة فنّية رائعة المنظر. وما يدريك لعله يجلس على رسم هذه اللوحة أيام وليالي، ويسهر عليها حتّى يقدّمها للمشاهد بالشكل الرائع والمقبول والمثير.

في لوس أنجلوس بأمريكا في إحدى السنوات أقام مركز الشباب المسلم هناك معرضاً صورياً شارك فيه الكثير من الرسّامين المبدعين بمختلف أطيافهم وديانتهم، ثمّ عرضوا فيه لوحاتهم.

أيضاً بعض الرسّامين الشيعة ركّزوا على رسم بعض المشاهد المثيرة من واقعة الطفّ في لوحاتهم وعلّقوها من بين اللوحات، وكان هناك من الإخوة المؤمنين في المركز مهمّته في المعرض يعرّف باللوحات للزائرين.

هذا الأخ يقول: كان كلّ زائر يزور المعرض لا ينجذب إلى شيء أكثر ممّا ينجذب إلى النظر إلى اللوحات الحسينيّة؛ لأنّهم رأوا فيها المناظر النادرة والمثيرة.

وكان من بين الزائرين ومن المدعوّين لحضور هذا المعرض هو الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (رحمة الله عليه)، ومن جملة انطباعاته على اللوحات التي رآها كان يقول: إنّ اللوحات كانت معظمها رائعة ومعبّرة وهادفة، وتُعطي لذهنية الناظر الصورة التقريبية، ولكن ما لفت نظري وأثار انتباهي من بين اللوحات المعروضة كانت هناك لوحة لأحد الرسّامين من بلدة الحلّة بالعراق وقد رسم فيها طفل الحسين عبد الله الرضيع والسهم واقع في منحره، والدماء من حوله، وحوريات قد نزلت من السماء إلى الأرض يتبركنَ بدمائه.

يقول: وأنا أتأمّل إلى هذه اللوحة الفنية الرائعة لكنّي ما استطعت مواصلة التأمّل فيها؛ لأنّني اختنقت بالعبرة وقد جرت الدموع من عيني.

فالرسّام الحسيني مبدع عظيم، ويستحق الثناء والتبجيل والتكريم، وقبل أن نكرمه قد كرّمه مولاه الحسين عليه السلام؛ لِما يؤدّي له من خدمات فنّية جميلة؛ مكافأة له على عنائه وتعبه وسهره.

أيضاً لا ننسى جهد وعناء ذلك الخطّاط الشريف الذي يسخّر قلمه في خدمة أهل البيت عليهم السلام، ويسخّر إبداعاته الخطّية في كتابة الشعارات القدّسية التي أطلقها حسين الإباء في يوم عاشوراء قبل استشهاده. حفظ الله كلّ الخطّاطين والفنّانين الرسّامين، وحشرهم مع محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

بلا شك إنّ كلّ هذا الفن الإبداعي لا يضيع هدراً، وإنّما نراه بجلاء قد أصبح مظهراً مؤثراً، ودافعاً للحركة الجماهيرية في المواكب العزائيّة.

ركضة عزاء (طويريج) المشهورة لدى شيعة العراق

إنّ الـذي رأى هـذا الموكـب المهيـب وهـو يخـرج يـوم عاشـوراء، أو في أربعينيـة سـيد الشـهداء عليه السلام في المسـير مـن حـرم أبي الفضـل العبـاس عليه السلام إلى حـرم أخيـه الحسـين عليه السلام ، يلحـظ بـأنّ مـا وراء هـذه الهرولـة الزاكيـة الشـريفة حكايـة تأريخيـة مشـهورة عريقـة بـرزت بعـد استشهاد أبيّ الضيم عليه السلام ، وسوف أنقلها لك بنوع من الإسهاب والتفصيل:

ينطلق ما يعرف بـ (عزاء طويريج) بمصاب سيد الشهداء عليه السلام ظهر العاشر من المحرّم بعد صلاة الظهر من منطقة (طويريج)، وهم يهتفون: **(أبـد والله مـا ننسـى حسـينا)** و **(وا حسـين)**، ومـا إليـه مـن الشـعارات الحسـينيّة والهتافـات الولائيـة، إلى أن يصـلوا إلى حـرم سـيد الشهداء عليه السلام ، ومنه إلى حرم العباس بن علي عليهما السلام ، ومنه إلى المخيّم الحسيني.

لهـذا العـزاء تـاريخ طويـل ومشـاركة كبـيرة مـن المـوالين والمحبّـين للإمـام عليه السلام ، وهـو عـزاء جماهيري يُشارك فيه أعداد كبيرة من عشّاق الإمام وهم يندبون لمقتل الإمام السبط، مهرولين إلى الصحن الشريف للإمام، لاطمين الصدور والرؤوس، منادين: يا حسين! يا حسين! يا حسين! هذا النداء الخالد ما خلدت الدنيا.

ويروى في إحدى السنوات كان المرحوم العلاّمة السيد مهدي بحر العلوم قد ذهب يوم العاشر من محرّم إلى مدينة كربلاء المقدّسة بصحبة عدد من طلبته وخواصه، فوقف على مشارف المدينة لاستقبال الموكب الحسيني القادم من مدينة (طويريج) التي يفصلها عن كربلاء حوالي أربعة فراسخ، حيث يعدّ هذا الموكب من أشهر المواكب وأكثرها حرارة إلى درجة أنّ نمطاً من أنماط العزاء الحسيني ما زال مشتهراً باسم (عزاء طويريج)؛ نسبة إلى هذه المدينة التي كان يخرج منها مئات الألوف من الرجال والنساء والأطفال وهم يبكون ويندبون ويلطمون على سيد الشهداء (صلوات الله وسلامه عليه).

والرجال منهم كانوا يسيرون حفاة الإقدام، حاسري الرؤوس، وهم يلطمون أنفسهم بقوّة وحرارة على وقع المراثي كالمفجوعين توّاً، ممّا يزيد الأسى واللوعة بمصاب سيد الشهداء، وتتحوّل مدينة كربلاء المقدّسة إلى حالة من الحزن والأسى في كلّ أرجائها من وقع هذا الموكب وصداه.

وعندما اقترب الموكب إلى حيث كان يقف السيد مهدي بحر العلوم تفاجأ الذين من حوله بقيامه فجأة بإلقاء عمامته، وخلع قميصه، وقد انفجر من شدّة البكاء وغاص في وسط الموكب بين الجماهير، وهو يلطم بشدّة وقوّة، وهو ينادي ويصيح: وا حسيناه! وا حسيناه!

وقد تعجّب هؤلاء الذين كانوا من المقرّبين إلى السيد من قيامه بهذا التصرّف بغتة، بينما هو لم يعهد عنه مثل ذلك أبداً. وما كان من هؤلاء من سبيل سوى أن يدخلوا مع السيد في الموكب، فأحاطوا به من كلّ جانب؛ خشية أن يصيبه مكروه، أو يُداس بالأقدام وسط أمواج هذا الموكب المهرول الكبير.

وطوال تلك الفترة رأى هؤلاء من السيد بحر العلوم ما زاد من تعجّبهم ودهشتهم، إذ وجدوه في حالة لم يروها من قبل منه؛ فقد كان يضرب نفسه بقوّة وشدّة وجزع، وهو يبكي ويصيح بأعلى صوته من دون أن يشعر بما حوله، وكان حقّاً كالذي فقد عزيزاً الساعة.

وانتظر هؤلاء انتهاء الموكب والدهشة قد ملأت عقولهم، وبعد انتهاء مراسم العزاء وانفضاض الجميع، عاد السيد بحر العلوم إلى حالته الطبيعية، ولكنّه كان شاحب الوجه، منخرّ القوى، ولم يكن يقوى على النهوض، فسأله المحيطون به منكرين: سيدنا، ماذا جرى لكم حتّى دخلتم هكذا فجأة ومن دون اختيار في موكب عزاء طويريج كأحدهم؟!

فنظر إليهم السيد وانهمرت دموعه على خديه وقال: لا تلوموني، ولا ينبغي لكم أن تلوموا أحداً من العلماء إذا ما قام بذلك؛ فإنّني ما إن اقترب منّي الموكب حتّى رأيت مولاي صاحب الأمر (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) حاسر الرأس، حافي القدمين، وهو يلطم ويبكي مع اللاطمين الباكين، فلم احتمل المنظر، ودخلت في الموكب ألطم صدري مع الإمام سلام الله عليه.

وعزاء طويريج يبدأ بالمسير انطلاقاً من مدينة طويريج الواقعة على بعد ٢٠ كيلو متراً عن كربلاء، حيث يتوجّه المشاركون فيه إلى هذه المدينة سيراً على الأقدام ليصلوا قبل الظهر على مشارف المدينة؛ حيث تُقام صلاة الظهر هناك لينطلق الموكب إلى داخل المدينة المقدّسة.

وتولّى علماء دين من آل القزويني، ووجهاء مدينة طويريج من آل عنبر، وعشائر بني حسن، وآل فتلة، والدعوم، الإشراف والإنفاق بمساعدة أهالي هذه المدينة على (ركضة طويريج) التي تنطلق لتبدأ بعدها مراسيم (الركضة) في العاشر من الشهر، وهو موكب عزاء يشارك فيه مئات الآلاف في كلّ عام.

حلقة عزاء ذي الجناح المشهورة لدى شيعة البحرين

العزاء الحسيني لا يختصر على شريحة من الناس ليس على الشباب فحسب، بل يشترك فيه الشيوخ المسنّين الكبار من ذوي الشيبة البهية، وهؤلاء في البحرين قد خُصّصت لهم مسيرة عزائية خاصة بهم، وهي معروفة بـ (حلقة ذي الجناح)، وهذه التسمية نسبة لجواد الحسين عليه السلام.

وإليك قصّة كيفية هذه المسيرة الخالدة بالتفصيل: تعدّ قبل كلّ شيء الأعلام والشبيهات والخيول والجمال والهوادج، ثمّ يتجمّعوا الأجداد والآباء الكرام بعد خروجهم من سماع المقتل يوم العاشر، ويتكتلون في لمة واحدة أمام موكب الشباب، ويأتي الرادود في مقدّمتهم ويقرأ قصيدة (أحرم الحجّاج) للشيخ حسن الدمستاني.

هذه القصيدة الحسينيّة الأدبية المشهورة التي على الدوام أبياتها تتردّد على ألسن الموالين المعزّين في كلّ مكان، وهي في الواقع ملحمة نظمت حادثة الطفّ من الأوّل إلى الأخير، وأصبح كلّ أهل العزاء يردّدون هذه الملحمة بشتّى الألحان في مختلف أنحاء العالم الإسلامي والوسط الشيعي.

والقصيدة في الموكب على حال نظمها لم يغيّر فيها شيء إلاّ المستهل الذي اعتاد المعزّون أن يردّدوه في كلّ عام بهذه الكيفية:

ذو الجناح أقبل من الميدان خالي ... وويلاه أي وا حسيناه وويلاه

تأمّلات واقعية واعية في موكب ذي الجناح

متى تأسس موكب ذي الجناح؟ ولأيّ هدف وجد هذا الموكب؟

يعتبر أهل البحرين إنّ أوّل مأتم أُقيم في البحرين هو (مأتم ابن أمان) في حي المخارقة وسط العاصمة المنامة قبل حوالي قرنين، وشارك في تشييده أبناء الحي من البحّارة والبنّائين، وقد تمّ تجديده بعد وفاة الحاج عبد الأعلى أمان عام ١٨٦٩.

ومنذ تأسيس هذا المأتم التأريخي في ذلك الوقت انطلقت منه مسيرة حلقة ذي الجناح، وشيئاً فشيئاً أخذ يكبر هذا الموكب إلى أن عمّ مناطق وقرى البحرين، وكان له شهرة واتساع واسع بمشاركة أصحاب الثياب من المسنّين من جيل الأجداد والآباء.

فلو تأمّلنا في هذا الموكب المقدّس تأمّلاً واعياً لرأينا أنّ الهدف الأسمى من إيجاد مثل هذا العزاء هو المشاركة الوجدانية لجميع الموالين من شيب وشباب، فلماذا نلغي دور المسنّين من المشاركة في المواكب العزائية؟

لا بدّ أن تفرد لهم حلقة خاصة بهم حتّى تكون لهم الحافز المشجّع على المشاركة؛ ولأجل هذا الهدف النبيل تمّ إنشاء موكب ذا الجناح. ونأمل أنّ هذه التجربة الرائدة ستعمم على كلّ مناطق العزاء في العالم الشيعي حتّى تصبح المشاركة لجميع الفئات في المجتمع.

وإنّي على يقين بأنّ الشيعة مع تقدّم وتطوّر المواكب العزائية في هذا العصر إلاّ أنّ هناك الكثير ممّن يرغب أن يجعل ذا الجناح في مقدّمة المواكب العزائية الأُخرى، ولذكريات وفاء جواد الحسين عليه السلام.

موكب عزاء حديث خاص للصم والبكم في البحرين

إنّ لكلّ إنسان حقّ في هذه الحياة ولو كان من ذوي العاهة، فمن الظلم أن يُحرم منه وبالاستطاعة أن يحصل على حقّه بمساعدة أهل الخير من المجتمع، ولا خير في مجتمع لا ينتبه إلى الفئة المحرومة.

والحياة هي الحركة، وكما يُقال: **في كلّ حركة بركة.** وأيّ حركة طبيعية تطوعية تسير في اتجاه خدمة أهل البيت عليهم السلام يباركها الله عزّ وجلّ، ويباركها رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويباركها جميع المعصومين عليهم السلام .

فأهالي منطقة النعيم في البحرين قد تحرّكوا تحرّكاً جدّياً من أجل إنشاء موكب حسيني يضم فئة الصم والبكم؛ هذه الفئة التي عاشت في السنوات المنصرمة قد لا تفهم إلاّ القليل عن المواكب العزائية، وبالفعل تمّ هذا الإنجاز الكبير، وضمّ هذه الفئة إلى باقي فئات المجتمع. وكلّ هذا الفضل يرجع إلى أهالي النعيم الذين أُشربوا حبّ الحسين عليه السلام ؛ حيث إنّ قلوبهم تقطر بالولاء الخالص للعترة الطاهرة.

وفّق الله المؤسسين والقائمين على خدمة هذا الموكب المبارك المقدّس، وجعل هذا الإنجاز المثمر والعطاء اليانع في ميزان حسناتهم.

متى بدأ موكب الصم والبكم، وكيف كانت انطلاقته؟

لقد بدأ هذا الموكب المميّز يظهر وجوده في صفوف المسيرات العزائية المقدّسة بجهود حثيثة مكثفة من قبل لجنة مأتم النعيم الجنوبي، حيث طرحت فكرة المجلس الحسيني للصم في ٣٠ / ٧ / ٢٠٠٣م، ووافق المجلس على تبنّي الفكرة.

وبعد الموافقة بدأ التحرّك في تطبيق هذا المشروع القيم؛ فأُقيم أوّل مجلس ديني (حسيني) مترجم بلغة الإشارة للرجال (مكان خاص للرجال) في ٢٦ / ٢ / ٢٠٠٤م، ثمّ أُقيم أوّل مجلس ديني حسيني مترجم بلغة الإشارة للنساء في ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٤م. وفي تاريخ ١٠ / محرّم ١٤٢٥ هـ زار وزير الصحة المجلس الديني للصم نساءً ورجالاً.

ومن ضمن الفعاليات والنشاطات المستمرة تمّ اللقاء بالمجلس الحسيني للصم مع د. فؤاد شهاب رئيس مركز سلطان لتنمية السمع والنطق بتاريخ ١١ محرّم ١٤٢٥هـ - ٢٠ محرّم ١٤٢٥هـ.

وفي ١ / ٣ / ٢٠٠٤م تمّ إجراء اختبارات سمعية للصم بمركز سلطان لتنمية السمع والنطق في ٢ / ٣ / ٢٠٠٤م (٢٩ محرّم ١٤٢٥ هـ)، وتمّ لقاء لجنة الصم بوزير الصحة في قاعة رفيده بوزارة الصحة.

وفي ٤ / ٢ / ٢٠٠٥م تمّ إعداد إقامة مخيّم ثقافي وترفيهي للصم بالصخير بالتعاون مع جمعية التوعية الإسلامية.

وفي ١٩ / ٢ / ٢٠٠٥م (١٠ محرّم ١٤٢٦هـ) انطلق أوّل موكب عزاء للصم والبكم في البحرين إن لم يكن على مستوى العالم.

إنّ هذه مجهودات بدائية رائدة شكّلت حجر الأساس لإقامة هذا المشروع الولائي الحسيني الهام، وحري بي وبكلّ إنسان منصف أن يشيد وينوّه بهذه المبادرات والجهود الخيّرة ويثني عليها؛ لأنّها قد أنجحت بروز موكب الصم والبكم وصيّرته على هذه الكيفية التي نراها بارزة على هيئته إلى حتّى هذا العام ٢٠٠٦م، وإلى الأعوام المقبلة إنشاء الله تعالى.

فائدتنا من إقامة العزاء الحسيني

س١: ما الهدف من تجمهر الجماهير الحسينيّة المعزّية من مختلف المناطق في منطقة واحدة؟

هناك أهداف متعدّدة ومغزى كبير لهذا الحشد الجماهيري الغفير الذي يكاد يُعدّ بالملايين وهم يتجمهرون في بقعة واحدة وفي رحاب واحد، ويحملون الرايات ويهتفون بصوت واحد (لبيك ياحسين)، (أبد والله لا ننسى حسيناه).

أذكر باختصار أهم هذه الأهداف، وهي أربعة:

أوّلاً: المحافظة على هيبة وقوّة العزاء.

ثانياً: الزيادة في مضاعفة الأجر والثواب.

ثالثاً: كشف ما هو جديد لدى الرواديد.

رابعاً: وحدة الصف تحت راية الحسين عليه السلام.

هذه أهم أبرز الغايات التي تدفع تدفّق الجماهير إلى أن يقيموا العزاء في مدينة من مدن مناطقهم، ويجتمعوا تحت مظلّة شعار واحد وراية واحدة وصف واحد. وهذا التجمهر يكون له طابع خاص، وقد اعتاد عليه المعزّون من عصور سابقة إلى عصرنا الحالي.

س٢: ما هي الفائدة التي تجنيها جماهير الشيعة من خلق هذه المسيرات المليونيّة في المواسم العزائيّة؟

إنّ أكبر فائدة تُجنى من وراء تلك المسيرات المليونيّة هو تخليد ذكرى شهادة أبي الأحرار الحسين عليه السلام، وإظهار مظلوميته للعالم، وشدّ أنظار الأمم في جميع أنحاء العالم لقدسية وعظمة هذا القائد العظيم، هذا من ناحية.

ومن ناحية أُخرى - بحسب اعتقادي - هو الرفض للظلم والظالمين في كلّ عصر، وفي كلّ زمان ومكان؛ حيث إنّ شيعة أهل البيت عليهم السلام ليس لهم الاستفادة من شيء في جعل هذه المسيرات العزائيّة إلاّ السير على نهج الإمام الحسين وباقي الأئمّة الطاهرين (عليهم السّلام أجمعين) ذلك النهج الثائر.

ونختصر هذه الفائدة في ثلاثة مواضع:

الأوّل: الركوب في سفينة النجاة

يا أهل الرثاء، ويا أرباب العزاء، أقول: أكبر سفينة منجية يركبها الإنسان في حياته هي سفينة الحسين عليه السلام، وأكبر فائدة يجنيها المعزّي؛ حيث يرى نفسه مع المعزّين وقد شملته ألطاف رحمة الحسين عليه السلام، وهذه الرحمة النورانية هي التي تضيء وجوده وحياته. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " **الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة** "، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**كلّنا سفن نجاة، وسفينة جدّي الحسين أوسع، وفي لجج البحار أسرع** ».

الثاني: استجابة الدعاء تحت قبة الحسين عليه السلام

أيّها المؤمنون، اعلموا بيقين أنّ كلّ منبر عزاء يُعقد على سيد الشهداء عليه السلام في أيّ بقعة على وجه الأرض فهو يعتبر قبة للإمام عليه السلام، وتكون الدعوة بقربه مستجابة. وما من أحد منّا إلاّ ولديه هموم وحاجات، فنحن نحتاج إلى الحسين عليه السلام؛ لأنّ الله عزّ وجلّ جعل الشفاء في تربته، واستجابة الدعاء تحت قبته؛ فلذلك تجد ملايين الشيعة الزائرين يتوافدون في المواسم العزائيّة على كربلاء، وتراهم بقلوب خاشعة في المسيرات العزائيّة بقرب الضريح الحسيني الطاهر يرفعون الأكف؛ يتضرّعون إلى المولى سبحانه وتعالى بحقّ حبيبه الحسين عليه السلام أن يفرّج عنهم، ويجلي همومهم، ويقضي حوائجهم، ويدفع عنهم شرور الابتلاءات.

فكم من زائر توفّق لنيل مناه ومبتغاه من خلال مشاركته في المواكب العزائيّة المقدّسة التي تنطلق من تحت تلك القبة الشامخة النوراء.وعن الكرامات الحسينيّة حدّث ما شئت، وكلّها شوهدت بالعين المجرّدة في ذلك الرحاب الشريف الطاهر. وللتفاصيل عن قصص كرامات سيد الشهداء عليه السلام راجع كتابنا الجديد (أنوار الأبصار في قصص وكرامات الأئمّة الأطهار).

ثالثاً: قبول العزاء والزيارة ونيل الشفاعة

رابعاً: تلبية لنداء الأئمّة المعصومين، والحثّ على إقامة الشعائر الحسينيّة؛ كإقامة العزاء والبكاء في يوم عاشوراء.

ثلاثة مناهل يستفيد منها الإنسان المؤمن من دنياه لآخرته، وهي عبارة عن محطّات يتزوّد منها وقود الفوز والنجاة، ألا وهي: العزاء، والبكاء، والزيارة. إذا نجح المعزّي والزائر والباكي في حسن أدائها، وزار وهو عارف بحقّ الإمام الحسين عليه السلام فسوف ينال منه القبول ونيل الشفاعة. فدعوتي من القلب إلى كلّ معزّ أن يدخل في مواكب العزاء وهو ينوي النيّة الخالصة الحسنة التي تؤهله أن ينال القبول.

فكما إنّنا إذا قصدنا إلى أداء مناسك الحج نبتعد عن المظاهر المادية والتصرّفات اللاسلوكية، كذلك عندما نتوجه لكي نعزّي على الإمام الحسين عليه السلام لا بدّ أن نكون على هذا المستوى الراقي من التأدّب؛ لكي تُكتب أعمالنا في ديوان خالص الأعمال، وإلاّ ما فائدة هذه المسيرات المليونيّة إذا لم تتوّج بتاج المودّة والإخاء واحترام بعضنا البعض؟

القوي منّا يعطف على الضعيف، والغني على الفقير، ونتآلف على بساط الرحمة، وفي رحاب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الغريب المظلوم عليه السلام، وتحت رايته العظيمة.

الرادود الحسيني وأثره في المعزّين

س: هل للرادود الحسيني ذلك التأثير المهم لاجتذاب المعزّين؟

الرادود الحسيني هو قطب الرحى المحرّك في المواكب العزائيّة، وهو يشكّل العمود الفقري لإنجاح مسيرة العزاء؛ لذلك يحتاج الرادود إلى مؤهّلات تؤهّله. ومن أبرز تلك المؤهّلات قوّة وحلاوة الصوت، وفوق كلّ ذلك الالتزام الديني، والأخلاق، واحترام الناس.

أيضاً من جملة المؤهّلات انتقاء القصائد والحرص على جودتها، وتلحينها بالألحان المقبولة اجتماعياً ودينياً.

لماذا كلّ هذه المؤهّلات مطلوبة في شخصية الرادود؟

لأنّ هذه المواصفات تجعل من الرادود الحسيني أن يكون مثلاً وقدوة يقتدي به مَنْ يأتي من بعده في هذا الطريق السامي.

أيضاً الرادود الحسيني الناشئ المحترف بحاجة إلى إتقان بعض الأساسيات والفنون الذي يقوم عليها نجاح الموكب العزائي، هكذا تحدّث الرادود البحريني الجدير عبد الشهيد الثور: لو ألقينا أنظارنا إلى مواكبنا بصورة عامّة سنجدها في أغلبها الأعم لا تخرج عن أربعة فنون وإن زاد في بعض الحالات فن هنا وقصر منها فن هناك.

نجد الموكب يتكوّن من:

١ - الهواس.

٢ - الوقفة.

٣ - داخل المأتم.

٤ - خارج المأتم.

ولهذا أراني أفضل إدخال الرادود مع بداياته في دورة تدريبية تعبر الفنون الأربعة السابقة على التوالي. ينتقل من فن إلى الثاني بعد اجتياز الفن الأول بنجاح، وليثبت للفريق المشرف على أدائه مدى مهارته، وكيف سيتميز في فن دون الآخر. هذا طبعاً بعد أن تكون أربعة فرق يعمل كلّ فريق على حدة مع النظر لمتطلبات الفرع المختصّ هو فيه.

وهذا لا يمنع من إجراء لقاءات دورية بين الفرق الأربعة وتبادل وجهات النظر ورفع ايجابيات كلّ قسم وسلبياته لبعضهم البعض، على أن يكون العمل كفريق وليس فردياً، بمعنى أن يتحمّل الفريق نجاح وفشل الرادود بكونه متابعاً لتوجيهه وتسديد مساره.

ثمّ تتابع وقال: بهذه المنهجية نؤسس منهجاً جديداً في إخراج رواديد جدداً يعتمدون على التوجيه المنظّم، والتأهّل في مسلسل المراحل الآنفة؛ يقيّم مستوى الرادود في أيّها أقوى، ولا يلحق بمرحلة حتّى ينجز تمكنه من المرحلة السابقة، وبعد التقييم يرجح له أيّ مرحلة هو الأقوى فيها ليتم له التخصص فيها، وبهذا نكون قد أسسنا لفن التخصص، ونقلنا الموكب لمرحلة النشاط والتنافس الشريف، والعطاء المنظّم، والقوّة المحكمة[1].

وهكذا كان يتحدّث الرادود الحسيني الشهير الحاج ملا باسم الكربلائي عن تجربته الاحترافية الرائدة، ويفصح للملايين من المعزّين الذين يتابعون إنجازاته الرثائية في كلّ عام، ويقول عن بداياته: كانت بدايتي في إيران بعد أن هجّرنا من طرف النظام العراقي في عام ١٩٨٠،

---

(١) موقع ملتقى الساحل الشرقي - الرادود الحسيني عبد الشهيد الثور - ١٢ / يونيو / ٢٠٠٣م.

وقد بدأت قارئاً للقرآن، واستمررت لخمس سنوات، أي لغاية ١٩٨٥م. كان عندي أستاذ في إيران اسمه محمّد تقي الكربلائي، فطلبت منه قصائد حتّى أقرأها في العزاء، فاستهزأ بي آنذاك، فحزنت وحملت عليه في قلبي، وعندما أحس بذلك أعطاني بعض القصائد لأقرأها في العزاء، وكانت قصيدة كان يقرأها الرادود الحسيني المعروف (الشيخ هادي الكربلائي)، والتي تقول: (يحمى الدخل يا حسين / كلّ اللوادم ايشهدون / بر وبحر مو منكور/ جن وانس يعترفون)، وأمّا القصيدة الثانية فكان مطلعهما: (مر على الشاطئ يحادي ارچابنا).

أعطاني هاتين القصيدتين وأخذت أتمرّن عليها، وبدأت في مدينة (قم المقدّسة) في ذكرى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، وقد بدأت بموكب الزنجيل، حيث كانت المواكب الكربلائية كلّها تجتمع عند سماحة المرجع المرحوم السيد محمّد الشيرازي (رحمة الله عليه)، وبعد أدائي الأوّل صار إعجابٌ من الناس وتشجيع على الاستمرار، وقال لي الكثيرون بأنّ لك شأناً في هذا المجال. ومنذ تلك التجربة الأولى في عام ١٩٨٠ وإلى اليوم أنا مستمر والحمد لله[١].

وأتحفنا الرادود الحسيني الكبير القدير الحاج ملا جليل الكربلائي عن بدايات احترافه عبر سؤال في مقابلة قد وجه له، فأجاب وهو يبتسم كعادته قائلاً: أستطيع القول بأنّ بدايتي كانت في العراق مذ كان عمري ١٣ سنة تقريباً، إذ كان والدي يأخذني إلى المرحوم حمزة الصغير، وكان (رحمه الله) يقول لي: (اقرأ عمو شويه).

فكنت أقرأ له ممّا حفظته من قصائده، فسألني ذات مرّة: (هواي تقرأ لو قليل؟). فأجبته: أنا أقرأ في البيت فقط، ولا أعرف إن كانت قراءتي صحيحة أم لا.

فقال لأبي: (إذا يقرأ ويصير عنده عوار بگصته فهذا يصير رادود). (هسه ما أدري كان يمزح وياي (رحمة الله عليه) لو حقيقة كانت؟ ما أدري!).

ومن ذلك اليوم وأنا مولع بالقراءة، ولم أتركها أبداً حتّى صار التهجير من العراق إلى إيران في السبعينات، وبدأت أقرأ في هيئة الفاطمية بأصفهان، وبقيت حوالي ١٠ سنوات أقرأ فيها، لكنّني آنذاك لم أكن معروفاً مثل اليوم، فلم تكن لي تسجيلات كثيرة حتّى الثمانينات، حيث دعيت للقراءة في مواكب كبيرة في قم المقدّسة وطهران ومشهد ومعظم المدن الإيرانية، وأصبح لي تسجيلات صوتية كثيرة جداً.

ثمّ قال الملا جليل: لكن الرادود الاعتيادي كيف يضع الأطوار؟ هذه أقولها للشباب الذين يطمحون لخدمة الحسين عليه السلام بمجال الرادودية.

الرادود لما يسمع قصائد، تواشيح، أناشيد، يصبح عنده خزين كبير في ذاكرته، ومع مرور الوقت يصبح لديه خبرة بوضع الأوزان على الأطوار المخزونة عنده؛ ولذلك تراه يأتي بمقطوعة من مقام الحجاز مثلاً، ومقطوعة من مقام الكرد، ويزاوج بينهما بعملية ذوقية غير مخطّط لها، وبدون أن يعرف الرادود ما الذي عمله ونتج الطور.

وأنا أُحذّر الرواديد الشباب خاصة من إهمال الحالة الروحانية، لا تجعلوا الأطوار تطغى على أصالة المنبر وقدسيته؛ هذا منبر مقدّس. قبل كم يوم قلت: في طهران ليلة مولد العباس عليه السلام ، قبل كم سنة جاؤوا بطفل أعمى إلى المجلس فإذا به يخرج مبصراً. المنبر الذي يعطي هكذا معاجز وكرامات، طيب كيف يجوز لي أن أقول من عليه أيّ كلام وآتي بأيّ تصرّف؟!

وأجرت شبكة السادة الإسلاميّة المباركة لقاء مع الرادود الحسيني البحريني المميز الشيخ حسين الأكرف (حفظه الله)، وقد بدأت المحاورة معه بهذا السؤال: كيف كانت بدايات خدمتكم في موكب العزاء على سيد الشهداء عليه السلام ؟ هل كان للبيئة التي تربيتم فيها (سواء المنزل أو المنطقة) تأثير كبير على بداياتكم؟ وما هو مدى تأثير والديكم على إظهار هذه الملكة (إلقاء القصيدة العزائيّة والشعر)؟

فأجاب الشيخ الأكرف: بدايتي كانت بلطف الله وعنايته في العام ١٩٨٥م، في قريتي الدراز، وبالتحديد في مأتم أنصار العدالة، وكانت القصيدة الأولى من ألحان المرحوم حمزة الصغير، وكلمات والدي الحاج أحمد الأكرف، كنت حينها في الحادية عشر من العمر، قبل ذلك كنت منشداً في فرقة الإمام الصادق عليه السلام للأناشيد الإسلاميّة، وقبلها كنت في فرقة جمعية التوعية الإسلاميّة منذ عام ١٩٨٣م.

ولبيئتي (الدرازية) كبير الأثر في توجهي الحسيني والحوزوي بعد ذلك؛ فقريتي من القرى المعروفة بتاريخها العلمائي وتمسّكها الديني، فهي الأصل الذي ينتمي له الشيخ يوسف العصفور صاحب الحدائق (قدّ سره). كما إنّ لوالدي العزيزين عظيم الأثر في توجهي هذا؛ فإنّ الوالد كان رادوداً وشاعراً حسينياً مجيداً، ووالدتي دوماً تحفّزني وتشجّعني لخدمة الحسين عليه السلام.

وحول سؤال: إنّه كثر في الآونة الأخيرة بين الرواديد ما يعرف بالألحان العزائيّة، وهي ظاهرة وإن كانت تهدف إلى تطوير الأداء، فما رأي سماحتكم في ذلك؟

فأجاب الرادود الشيخ: اللحن يستنطق معاني الكلمة، ويعطيها لغة مؤثرة ووقعاً خاصاً في النفوس، فقد تكون الكلمة بلا لحن باهتة اللون ضعيفة الوقع لكنّها في قالب اللحن يكون لها نبض، وتجري فيها الروح؛ لهذا فإنّ اهتمام الرواديد باللحن وتطويره ومحاولة التنويع فيه هو أمر يخدم القضية الحسينيّة، ويحافظ على حضورها في العواطف والعقول.

ولكل جيل من الرواديد ذوقه الخاص وحسّه المختلف بحسب اختلاف الظروف والانتماءات والقضايا؛ فالحزن البالغ في الألحان العراقية العزائيّة يكشف عن واقع الألم الذي يتأثر به الرادود العراقي، والحماسة والثورة فيه إلى جانب الحزن في اللحن البحراني يكشف عن هذا الواقع المعاش في البحرين وهكذا.

كلّ ما هناك هو أنّ علينا أن نراعي في اللحن المناخ الإسلامي والطبيعة الموكبية، واللمسة الحسينيّة والولائية، وأن لا نهبط باللحن إلى أجواء أُخرى لا تنتمي للحسين عليه السلام ، ولا تخدم قضيته.

وفي حوار أجرته جريدة الرأي العام مع الرادود خادم أهل البيت عليهم السلام نزار القطري (حفظه الله تعالى)، سأله المحاور عن التعريف ببطاقته الشخصية فقال: اسمي نزار فضل الله رواني، المعروف بـ (نزار القطري)؛ وذلك انتساباً لمسقط رأسي الدوحة الحبيبة.

من مواليد ١٩٧١، جنسيتي بريطاني، أتكلم ٤ لغات بطلاقة، متزوّج ولدي كوثر وحسين، وأعمل حالياً كـ (مونتير) في تلفزيون الرأي - قسم الأخبار.

وفي سؤال وجّهه الأخ السائل له في المقابلة حول ما هي الرسالة التي يريد توجيهها للجمهور من خلال الإنشاد، فأجاب الرادود نزار قائلاً: بكلّ صدق ووضوح هي الرجوع إلى الدين، وعندما أقول ذلك لا أقصد الإسلام فقط، بل أقصد الرجوع إلى الفضيلة والقيم الأخلاقيّة التي تأمر بها جميع الأديان السماوية بوجه عام.

فانّ الهدف من الأناشيد ليس تقديم شيء لتمضية وقت الفراغ في سماعه، ولكن هو تقديم شيء يعود علينا بالمنفعة الدينيّة؛ كذكر الله تعالى، أو مدح النبي صلى الله عليه وآله ؛ فإنّ سماع شيء يرضي الله ورسوله أحبّ إليهما من سماع شيء يغضبهما.

وحول أهمية تأثير الرادود الحسيني على الجماهير كتب الكاتب الحسيني أحمد رضا تحت عنوان (الموكب الحسيني تأريخه وأهدافه): والرادود يعتبر محور حركة الموكب الحسيني، والقطب الرئيس في تشكيل عواطف الجمهور، وشحنها بالحماس الممزوج بعاطفة الحزن والبكاء على مقتل الإمام الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام .

وعادة ما يتفاوت الرواديد حسب أعمارهم وخبراتهم، ومن الضروري أن يكون الرادود الحسيني قدوة أخلاقيّة في المجتمع، وعنصراً اجتماعياً نشطاً في المجال الثقافي أو السياسي.

وقد لعبت المواكب الحسينيّة عبر مختلف عصور التاريخ أدواراً بارزة في تشكيل العقل الجمعي وتعبئة الجماهير بالحماس، وتترافق مع هذه الشعائر بعض الأعمال الإيجابية؛ كحملات التبرّع بالدم، أو فتح مراسم فنيّة، أو عرض فنون تمثيلية ومسرحية، بالإضافة إلى النشاط الإعلامي (بالصوت والصورة) المرافق للمواكب الحسينيّة.

وأصبحت هذه الشعائر ممارسة تتوارثها الأجيال، ورسالة إعلاميّة لجماهير متعطّشة للحرية والعدل والتضحية من أجل الأهداف النبيلة التي وظّفها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته الخالدة[1].

أيضاً لي كلمة مختصرة في هذا الصدد: أيّها الأحبّة إنّي أضمّ صوتي إلى صوت الرادود الأخ نزار القطري وأقول: بالفعل، إنّ ما كان لله ينمو؛ إنّنا إذا ساهمنا وبذرنا بذرة الخير فسوف تثمر وتينع ثمارها بالخير، والناشئون من أبناء هذا الجيل الحسيني الصاعد ما هم إلاّ أمانة الله في أعناقنا جميعاً، فيجب علينا أن نبادر ونأخذ على عاتقنا مسؤولية تأهيلهم؛ لكي يصبح الموهوب منهم من جملة ركب خدمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وإنّي على ثقة وبكلّ تأكيد أرى بأنّ هناك في هذا الجيل الولائي الناشئ مَنْ له القابلية على التعليم والتدريب والتأهيل على أن يصبحوا رواديدَ كباراً في المستقبل، ولدينا من الأصوات في عذوبة جمالها وجهوريتها، ولكنّها مختبئة تحت الرماد تريد مَنْ ينبشها حتّى تشتعل وتطلق تلك الموهبة المغيبة.

وخير مثل وشاهد لنا ما قاله الأخ الرادود باسم الكربلائي حيث ذكر لنا أنّه درّب أحد الأشخاص، وبعد فترة أتقن هذا المتدرّب الألحان، ويلحن القصائد العزائيّة، ثمّ أصبح الملا باسم نفسه يأخذ من ألحانه ويلقيها.

فدعونا أيّها الإخوة أن لا نبخل على سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بفلذات أكبادنا؛ فلندفعهم ونشجعهم ونزجهم في هذا الميدان بكلّ افتخار.

---

(١) مجلة النبأ - العدد ٦٦ - محرّم الحرام ١٤٢٣هـ.

س: إلى أيّ مستوى نريد أن نصل بتطوير مسيرة المواكب العزائيّة الرثائية المقدّسة؟

تفعيل لجان المواكب العزائيّة

من الملاحظ لدى الجميع أنّ أيّ لجنة من لجان المواكب العزائيّة في مختلف مناطق العالم هي تابعة للمأتم نفسه، ورواد هذه اللجان في الغالب يكونون من المتطوّعين.

وهنا حري بي أن أقف وقفة إجلال وثناء لخدمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، هؤلاء الرجال من الأوفياء الصادقين، ودليل صدقهم وإخلاصهم هو عطاؤهم الوافر المثمر، والسهر على أن تخرج المسيرات العزائيّة بانتظام، وأن يحيوا ذكريات المعصومين الطاهرين عليهم السلام يرجون بذلك رضاهم.

وهذا التطوّع لا أحد يستهين به؛ لأنّه يثلج فؤاد الرسول صلى الله عليه وآله، ويسرّ قلب الزهراء البتول عليها السلام، كم هو عظيم عند الله عزّ وجلّ وعند أهل البيت عليهم السلام من يسخّر نفسه في خدمة مَنْ تخدمهم الملائكة.

قد يستصغر البعض من الناس أن يقف في الطريق ويسقي المارة من المعزّين شربات من الماء، أو من العصير البارد، ويبرّد على قلوبهم على حبّ الحسين عليه السلام، هذا العمل الذي نراه صغيراً فهو عند الله كبير وعظيم، وثوابه لا يُعد ولا يُحصى، وله رصيد وافر في الآخرة؛ من هنا أيّها الأحبّة ينبغي أن نزجّ بفلذات أكبادنا أن تخدم أهل البيت عليهم السلام في أثناء خروج المواكب العزائيّة.

نحن كما نوضّح لأبنائنا الأجر والثواب الذي يحصل عليه الباكي على الحسين عليه السلام في المقابل لا نبخل على هؤلاء الناشئين ذوي النفوس البريئة النقية أن نغرس في ذواتهم منذ صغرهم كيف يخدمون الحسين عليه السلام حتّى يصبحوا من خدمة أهل البيت عليهم السلام؛ وبالتالي تستمر مسيرة الخير والعطاء، وتزدهر المواكب الحسينيّة بالمضحّين من ذوي الفاعلية.

التطوع المستمر ضمان للاستمرارية

كلّ مجتمع ينمي فيه روح التطّوع هذا المجتمع لا ولن يموت أبداً، وسيبقى يروي الشجرة لكي تزخر بعطاء الثمرة، والذي يجني ثمر عطائه هم الأجيال الذين سيأتون من بعده.

فإذا كان النواصب يربّون أبناءهم وأحفادهم على بغض أهل البيت عليهم السلام وعلى أتباعهم، فنحن الإماميّة ينبغي أن نربّي أبناءنا على حبّ أهل البيت عليهم السلام، ونقرّبهم منهم، ونخلق في ذواتهم روح التطّوع وأهمية مسؤولية العمل التطّوعي في سبيلهم عليهم السلام. وهذا النماء لا يتم إلاّ بالتشجيع وإعطاء الحوافز، وكشف القدرات والمواهب الناشئة الجديدة وزجّها في الميدان العملي عبر التعليم.

على سبيل المثال: أنت دورك التطّوعي في الموكب تعمل على جهاز مكبّر الصوت، دع ابنك الصغير بجانبك لكي يتعلّم منك هذا الفن؛ لكي يقدّم هذه الخدمة للمواكب العزائيّة من بعدك، وهكذا إن كنت رسّاماً، أو خطّاطاً، أو شاعراً، أو راديوداً، أو إدارياً، أو مهندساً، أو مصمماً، أو ممثلاً، أو مبدعاً وما إلى ذلك.

إنّ هذا اللون من النماء التطّوعي يسهم إسهاماً كبيراً في تفعيل مسيرات العزاء المقدّسة، ويحافظ على النهج الولائي والمبدئي، ويخلق في أجيالنا المقبلة روح التضحية والعطاء.

عالمية العزاء الحسيني

مراسم العزاء في (تايلند)

روى السيد محمّد علي الشهرستاني الذي زار بانكوك (عاصمة تايلند) في العشرة الأولى من محرّم سنة ١٣٩٤ قائلاً: إنّ العزاء الحسيني يُقام على أتمّ مظاهره في بانكوك وبعض أنحاء تايلند؛ فإنّه شاهد بأمّ عينيه إقامة مجالس العزاء والمآتم، واجتماعات النياحات، وقراءة المراثي على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام في هذه العشرة.

وإنّه اشترك بنفسه في بعضها، وخاصّة في المواكب الحزينة، ومجال النياحة التي أُقيمت في المساجد والحسينيات التي أُنشئت في بانكوك على مرور الزمن، ومنذ أن نزلها أحد علماء الشيعة وهو أحمد القمي قادماً إليها من إيران على عهد الأسرة الملكية الصفويّة منذ أكثر من ٤٠٠ سنة.

ويشترك الشيعة كلّهم في هذه المراسيم العزائيّة التي تُقرأ فيها فاجعة الطفّ بتفاصيلها، كما يلبس في هذه العشرة الحزينة وخاصة يومي تاسوعاء وعاشوراء اللباس الأسود، كما إنّ توزيع الخيرات وإطعام المساكين في هذه العشرة الحزينة [أمر عهده الأهالي في تلك البلاد](*).

(*) ما بين المعقوفتين هو من إضافات موقع معهد الإمامين الحسنَين عليهما السلام .

مراسم العزاء في العاصمة البريطانية (لندن)

إنّ أوّل مجلس عزاء حسيني أُقيم في بريطانيا كان في العام ١٩٦٢، وذلك في (ريجنت موسك) القديم قبل أن يُهدم ويُبنى من جديد، وكان قبل ذلك قصراً لأحد اللوردات، ولم تكن هنالك مراكز إسلاميّة أو حسينيات، وحتى المسلمون الشيعة كانوا أقلّية؛ حيث كانوا ينضمّون إلى بعضهم البعض لقلّة العدد.

ويُذكر أنّ أوّل مَنْ قرأ واقعة عاشوراء هو البريطاني عبد الله هوبت، ولهذا الرجل قصّة؛ حيث كان كولونيلَ في الجيش البريطاني، وعاش في العراق لمدّة خمس سنوات، وفي أثناء إقامته هناك تعرّف على مراسم العزاء الحسيني التي كانت تُقام في المدن العراقية.

ولاحظ أنّ كثيراً من المسلمين الشيعة يذهبون لزيارة المشاهد المقدّسة في النجف وكربلاء والكاظمية؛ ممّا آثار حبّ الاستطلاع لديه؛ الأمر الذي دفعه لدراسة الإسلام، وانتهى إلى اعتناق الإسلام على المذهب الإمامي الاثني عشري، وهو ما جعله محطّ اهتمامه فيما بعد؛ ولذلك عندما عاد إلى بريطانيا حرص أن تُقام هذه المجالس، وكان أوّل مَنْ قرأ رواية مصرع الحسين في العاصمة البريطانية.

واستمر الوضع كذلك إلى أن تأسست الإدارة الجعفرية عام ١٩٦٩ على يد جمعية الشباب المسلم، تلاه المجمع الإسلامي الذي أسسه المرجع الكلبايكاني، وكان مركزاً لتجمّع الجالية الإيرانيّة.

وبسبب هجرة الكثير من أبناء الجاليات الإسلاميّة؛ كالعراقيين، والباكستانيين، والهنود (الخوجة)، والإيرانيين، واللبنانيين في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات، أدى ذلك إلى تزايد أعدادهم الذي لم يعد ممكناً معه أن يضمهم مركز واحد؛ فقد أخذت كلّ جالية بإنشاء مركز خاص بها.

وتوزّع المهاجرون على معظم المدن البريطانية؛ فقد تزايد أعداد المراكز والحسينيات. ومن هذه المدن برمنغهام، ومانشستر، وليدز، وليفربول، وادنبرة، وكلاسكون، وكارديف، وسوانزي وغيرها.

ولا تقتصر مجالس العزاء على المراكز أو الحسينيات، فهناك أيضاً المجالس التي يُقيمها بعض الأفراد في بيوتهم خلال شهري محرّم وصفر، وفي المناسبات الدينيّة على امتداد السنة؛ وذلك إحياءً للمناسبة. ويقتصر الأمر على عدد محدود من الأصدقاء والأقرباء لضيق المكان، وهي عادة درج البعض على إقامتها في بلدانهم الأصلية، واستمروا في إقامتها في بلدان المهجر.

وتُقام في لندن سنوياً مسيرة حسينيّة في اليوم العاشر من المحرّم، وتنطلق من الهايد بارك وتنتهي بالمجمع الإسلامي، تُرفع خلالها الأعلام والرايات السود التي تعبّر عن الحزن لهذه المناسبة، إضافة إلى المراسيم الأخرى في الحسينيات والمراكز الحديثة.

مراسم العزاء في (إندونيسيا)

إنّ ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام في شهر المحرّم له حرمة ممتازة لدى مسلمي إندونيسيا إلى اليوم بوجه عام، ويُسمّى شهر المحرّم (سورا)، وهذه الكلمة ربّما تحرّفت عن كلمة (عاشورا)، ويُطلق على المأتم الحسيني في جزيرة سومطرا ذكرى (التابوت).

وفي اليوم العاشر من المحرّم يُقام تمثيل رمزي لاستشهاد الحسين بن علي عليه السلام، أمّا في جزيرة جاوا فلهذا اليوم تقدير خاص وعوائد خاصة؛ إذ تُطبخ الشوربا فقط على نوعين من اللونين الأحمر والأبيض، ثمّ يُجمع الأولاد وتقسّم الشوربا عليهم.

وهذا رمز للحزن العميق بجمع الأولاد الصغار والأطفال؛ وذلك تصويراً لليتم والحزن؛ أمّا اللون الأحمر فهو رمز للدماء الطاهرة المراقة؛ [وأمّا] اللون الأبيض [فهو] رمز للإخلاص والتضحية.

وإلى اليوم يعتبر شهر المحرّم وصفر من كلّ سنة عند الكثير من الإندونيسيين شهرين محترمين لهما مكانتهما في القلوب؛ فلا يقيمون فيهما أفراحاً، ولا يعقدون زواجاً، ولا يجرون زفافاً؛ فالمعتقد السائد أنّ مَنْ أقام أفراحاً في هذين الشهرين قد يصيبه نحس. أمّا في مقاطعة أجيه بسومطرا الشمالية فيُسمّى شهر المحرّم شهر حسن وحسين.

مراسم العزاء في (البحرين)

لقد عرفت البحرين إقامة المجالس الحسينيّة منذ زمن عهده طويل، حيث كان البحرانيون يقيمون المآتم في بيوتهم ومساجدهم. ويستخدم البحرانيون مصطلح (التحاريم) المتداول في الأوساط الشعبية، وهو مصطلح أطلقه أهل البحرين على ذكرى ولادة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وكذلك على وفياتهم؛ حيث تتوقف الأعمال وتُغلق الأسواق يومي التاسع والعاشر من شهر محرّم من كلّ عام بمناسبة ذكرى عاشوراء، ويعتبران عطلة رسمية تعطّل فيها دوائر ومؤسسات الدولة، وكذلك دوائر القطاع الخاص والمتاجر.

وفي صبيحة اليوم العاشر من محرّم، وهو يوم عاشوراء، تبدأ مواكب العزاء بمسيراتها في العاصمة المنامة وفي المدن والقرى الأخرى، فتنطلق المواكب العزائيّة لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

وترتبط بهذه الاحتفالات مصطلحات شعبية، فيُدعى النائح الذي يتصدّر مجموعات العزاء وينشد مرثية حزينة (بالشيّال). يقرأ القصيدة بمختلف الألحان الشجية والناس من حوله تلطم على الصدور بضربات قوية ومنتظمة، وعلى شكل نسق واحد.

وقد تشكّلت في البحرين لجان منبثقة من (المآتم الحسينيّة) التي من مهمّاتها إقامة الشعائر الحسينيّة بشكل منظّم في شهري محرّم وصفر، وما يرتبط بهما من مناسبات في ذكرى وفيات المعصومين عليهم السلام.

وقد اشتهرت البحرين بشعراء المآتم الحسينيّة الذين ينشدون أشعارهم في المجالس الحسينيّة، ومن أشهرهم الشيخ حسن الدمستاني الذي اشتهرت قصيدته بـ (حرم الحجاج) المكونة من مئة وأربعين بيتاً، ومطلعها:

أحرم الحجّاجُ عن لذاتهم بعض الشهورْ ... وأنا المحرمُ عن لذاته كلَّ الدهورْ

كيف لا يحرمُ دأباً ناحراً هدي السرورْ ... وأنا في مشعر الحزن على رزء الحسينْ

وتتكّون مواكب العزاء الحسني من مجموعات كبيرة يتصدّرهم حملة الأعلام والبيارق، ثمّ راكبو الخيول، وحاملو التوابيت والتماثيل المعتبرة التي ترمز إلى مأساة كربلاء.

كما عرفت البحرين تمثيليات تُقام يوم عاشوراء تعبّر عن أجواء واقعة الطفّ بكربلاء، وتهدف إلى تعريف المشاهدين بما جرى للإمام الحسين عليه السلام، وآل بيته وصحبه من مآسي وآلام. غير إنّ كثيراً من هذه المراسيم أخذت بالاختفاء وحلّت محلّها شعائر وطقوس أُخرى، وعزاء هادف يربط الماضي بالحاضر.

وتوجد اليوم في البحرين حوالي ثلاثة آلاف وخمسمئة مأتم (حسينيّة)، ومن أشهرها؛ مأتم القصاب، ومأتم مدن، ومأتم ابن زبر، ومأتم ابن سلوم، ومأتم الإحسائية، ومأتم العجم. وهناك أيضاً في باقي المدن البحرينية مآتم على نفس المستوى من الشهرة لا يتسع المجال لذكرها.

بالإضافة إلى أنّ المعزّين في البحرين لهم برنامج خاص في إحياء ذكرى عاشوراء، هذا البرنامج اعتادوا عليه من مئات السنين، وهو في اليوم العاشر يتجمهرون المعزّون من مختلف المناطق في العاصمة المنامة، وفي اليوم الحادي عشر تتجمّع المواكب في الديه، وفي اليوم الثاني عشر في سترة، وفي اليوم الثالث عشر في إسكان عالي، حيث تستمر المواكب العزائيّة من بداية حادي محرّم حتّى اليوم الثالث عشر منه.

ثمّ تنقطع المسيرات العزائيّة، لكن القراءات في الحسينيات تبقى مستمرة حتّى نهاية صفر، وهذا الشكل من الإحياء قد لا تجده إلاّ عند شيعة البحرين والكويت والعراق، وعند شيعة المنطقة الشرقية في القطيف والإحساء.

مراسم العزاء في (باكستان)

تُقام الاحتفالات في باكستان في شهر محرّم في جميع المدن والقرى التي يتواجد فيها الشيعة، فإلى جانب المجالس الحسينيّة التي تُقام في (الإمام برا) هناك مواكب العزاء التي تسير في شوارع المدن الرئيسة.

ومن أهم الطقوس التي تُمارس في تلك الاحتفالات هو تقديس فرس الحسين المدعو (ذو الجناح)، ذو السرج الثمين الزاهي بالألوان، حيث يضع الناس عليه مئات من باقات الورد والزهور بحيث تكون حملاً عالياً وكبيراً، وخلال مسيرة (ذو الجناح) في موكب العزاء يتهافت عليه الناس للتبرك به، ومسح أيديهم عليه ثمّ مسح وجوههم بها.

ويصل تقديس (ذو الجناح) إلى درجة كبيرة حين يُشارك في مواكب يوم عاشوراء ويوم الأربعين، وكذلك في الاحتفالات بوفاة الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام ، فمَنْ يتعرّض للفرس أو يمسّه بأيّ سوء أو أذى أو إهانة فإنّه يتعرّض للخطر من المحتفلين، وقد يصل الخطر أحياناً إلى حدّ القتل.

و(ذو الجناح) هو (وقف) من الأوقاف الإسلاميّة، ولا يُستخدم لأيّ غرض آخر سوى الاحتفال بذكرى الإمام الحسين عليه السلام في شهر محرّم.

ومثل الهنود يقوم الباكستانيون بإشعال النار في حفرة كبيرة، ويأخذون بالسير على النار الموقدة وهم حفاة الأقدام لتصطلي أرجلهم بنارها؛ مواساة للإمام الحسين عليه السلام الذي استشهد في أرض كربلاء، وبقيت جثته عارية تحت حرارة الشمس المحرقة.

ومن أكبر وأهم مواكب العزاء في باكستان هو موكب (الزناجيل) الذي يتكوّن من مجموعات عديدة، كلّ فرد منهم يحمل في يده مجموعة من السلاسل الصغيرة التي تنتهي بسكاكين حادة الجانبين، ويضرب حاملو السلاسل الحديدية على ظهورهم المكشوفة بقوّة، وقد يستمر هذا الضرب لمدّة ساعات حتّى تتهرأ لحوم ظهورهم وتسيل منها الدماء.

وترفع في بداية المواكب أعلام عديدة وملوّنة، ومن أهم تلك الأعلام (راية العباس)، وهو علم أخضر اللون يرفع عالياً في المواكب، أو (الأمام برا)، وقد كتب عليه (يا عباس).

وقد ذكر أحد الشهود أنّه شاهد بنفسه (راية العباس) وهي مثبتة حتّى في باب مكتب السيد بنازير بوتو رئيسة باكستان السابقة.

مراسم العزاء في (الهند)

ويرجع الفضل في إرساء أوّل وجود عزاء منظّم للشيعة في بلاد الهند إلى الإسماعيليّين، وكان أوّل دُعاتهم يُدعى (ابن حَوشَب) الذي سافر إلى بلاد السند سنة ٢٧٠ هـ، وقد تمكّن الإسماعيليّون في بداية أمرهم من السيطرة على مدينة (ملتان)، وكانوا في عصر العزيز حاكم مصر الفاطميّ (٣٦٥ - ٣٩٦ هـ) يخطبون باسمه.

وذكر المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم)[1] أنّ غالبيّة سكّان هذه المدينة كانوا من العرب، وأنّ حكّامهم كانوا حكّاماً عادلين، وأنّ نساءهم ملتزمات برعاية الحجاب الإسلاميّ، فلم يكن المارّ في أسواقهم ليشاهد امرأة واحدة متبرجّة.

وذكر أنّ أهالي مدينة (ملتان) كانوا من الشيعة، وأنّهم كانوا يؤذّنون بـ (حيّ على خير العمل)، ويذكرون فقرات الإقامة لصلاتهم مَثْنى مَثْنى، وأنّهم كانوا يخطبون باسم الحاكم الفاطميّ، ولا يَصدُرون إلاّ عن أمره وحُكمه، وأنّ الحاكم الفاطميّ كان يعمل فيهم بالقسط والإنصاف.

---

(١) أحسن التقاسيم ٦٢ / ٧٠٦ - ٧٠٧.

مراسم عاشوراء في مدينة بنجلور الهندية

يقوم الشيعة الهنود في مدينة بنجلور بإقامة مراسيم خاصة وإقامة مآتم العزاء الحسيني، ويتركّز أغلبية المآتم في منطقة (ريتشمان تاون) في وسط المدينة، ويفد إليها المعزّون من مختلف المناطق الأخرى في المدينة، ويقوم خطباء المنبر الحسيني بسرد الأحاديث وروي قصّة يوم كربلاء بلغة الأردو المحلية.

وبعد انتهاء الخطبة يقوم المعزّون بلطم الصدور وهم يستمعون إلى قصائد العزاء، ويوجد عدد لا بأس به من الشيعة في مدينة بنجلور وتقوم منظمة (أنجمان الإماميّة) بتنظيم مراسم عاشوراء. هذا وفي ليلة العاشر يقوم الشيعة نساءً ورجالاً بإشعال الشموع، ومن ثمّ الدخول والخروج من حسينيّة إلى أُخرى والتبرك بلمس بعض المجسّمات التي تمثّل الضريح المقدّس، أو الأيدي، وما غير ذلك.

ومن الفعاليات أيضاً المشي على الجمر حفاة الأقدام، حيث يقوم الشيعة الهنود بحفر حفرة كبيرة وملأها بالجمر، ثمّ يقوم الواحد تلو الآخر بالمشي عليه؛ تبرّكاً وتشبّهاً بيوم عاشوراء، حيث كانت صحراء كربلاء القائضة كالجمر.

وفي يوم العاشر يقوم المعزّون بشجّ الرؤوس وإدماء الصدور، وهم يصرخون: (مظلوم حسين)، حيث لا يزال التطبير، أو عزاء (الحيدر) يُمارس بكثرة؛ حزناً ورثاءً للإمام الحسين عليه السلام، وتُخصّص (أنجمان الإماميّة) سيارتي إسعاف لمعالجة المعزّين الذين يرهقون من حرارة الشمس وفقدان الدم.

وفي ليلة العاشر ويوم العاشر يقوم الشيعة بتوزيع المياه في الشوارع، وإقامة مأدبات الغداء الحسيني، حيث يوزّع الطعام بعد الفراغ من الخطبة على المعزّين.

مراسم العزاء في أفغانستان

مزار الشريف تتشرّف من جديد بإقامة مراسم العزاء الحسيني، شهدت مدينة مزار الشريف شمال أفغانستان في اليوم العاشر من المحرّم مراسم عزاء حسينيّة كبرى، أُقيمت في الكثير من المساجد والأماكن المقدّسة في المدينة؛ وذلك تعبيراً عن حزنهم ومواساتهم بذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، والنخبة المؤمنة المجاهدة معه في واقعة طف كربلاء.

وقد سارت في شوارع المدينة مواكب ومسيرات العزاء الحاشدة التي ضمّت الآلاف من شيعة آل بيت النبي الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله ومحبّي الحسين الشهيد، فيما قرعت الطبول وردّدت الشعارات المعبّرة عن الولاء والنصرة الدائمة لنهج الحسين وخطّه الثوري.

وينتمي معظم المشاركين في هذه المراسم إلى أقلّية الهزارة الشيعيّة التي تعيش في شمال أفغانستان وغربها، وفيما كانت دماؤهم تسيل من ظهور ورؤوس المعزّين، كانت أصواتهم الهادرة ولسان حالهم مقترناً بصيحات: (أفديك يا حسين بحياتي).

وفي يوم المناسبة العاشورائية هذه تحدّث الملا حاجي إبراهيم لوكالة أنباء رويترز البريطانية قائلاً: آمل أن تكون بلادنا حرّة الآن؛ فقد منعت سلطات طالبان مراسم العزاء الخاصة باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، ولكن يحدوني الآن أمل في أنّنا سنحيي هذه الذكرى إلى الأبد.

ومن مكبرات الصوت انسابت المراثي والأشعار الحسينيّة بعد ما كانت زمرة طالبان الطائفية الإرهابية قد منعت وحرمت محبّي أهل بيت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من إقامة مثل هذه المآتم الحسينيّة منذ ٧ سنوات.

مراسم العزاء الحسيني في تركيا

وفي الصقع التركي الذي كان يحكمه العثمانيون إلى ختام الحرب العالمية الأولى، ثمّ الحكومة الجمهورية التركية العلمانية الحالية، فأينما وجد أفراد من الشيعة وجدت معهم هذه المآتم والنياحات والمواكب الحسينيّة على الإمام الحسين عليه السلام وآله وصحبه وإن كانت على صورة مصغّرة وفي البيوت، لكنّك تجد في تلك الأحياء أعلام الحداد ترفرف على أسطح البيوت، وفي الأزقة والطرقات.

وقد نقل لي بعض زوّار العتبات المقدّسة في العراق من الأتراك، من سكان القسم الشرقي من الأناضول، عند مرورهم عبر طهران إلى العراق لأداء مراسم زيارة مشاهد الأئمّة عليهم السلام في كربلاء والنجف، والكاظمية وسامراء، وهم في الغالب من المزارعين في تلك المناطق التركية النائية المحاذية لآذربيجان الإيرانيّة.

نقل بأنّهم يقيمون المآتم والنياحات على الإمام الشهيد في بعض أيام الأسبوع طيلة السنة، وبدون انقطاع، في الدور وفي مجالس خاصّة، يشترك فيها مَنْ يكون حاضراً، ويلقي فيها خطيب المنبر الحسيني ما يناسب المقام والمجلس؛ من مآثر الإمام الحسين عليه السلام وسائر الأئمّة الاثني عشر، ويختم كلامه ببيان نبذة عن مجزرة كربلاء واستشهاد آل بيت النبي صلى الله عليه وآله فيها، ثمّ بعد ذلك (نقف برهة من الوقت ونحن في المجلس، ونلطم على صدورنا، ونردّد الشعارات الحسينيّة بشكل جماعي.

أمّا في العشرة الأولى من محرّم، ولا سيما في يومي تاسوعاء وعاشوراء، وفي يوم العشرين من شهر صفر (الأربعين) ولياليها، فتقام المناحات بتفصيل في مختلف الأماكن والقرى هناك، ويُتلى المقتل، ويشترك الرجال والنساء، والشيوخ والشباب وغيرهم بإحياء هذه الذكريات الحزينة.

وحتّى إنّ كثيراً من أبناء السُنّة يشتركون مع الشيعة في هذه المراسيم والشعارات الحزينة، وفي المواكب العزائيّة، وتصبح أجواؤنا الشيعيّة في تركيا يخيّم عليها الحزن طوال فترة محرّم وصفر، وحالنا كحال إخواننا الشيعة المعزّين في كلّ مكان)[*].

(*) اضطررنا إلى وضع هذه العبارة الأخيرة بين قوسين؛ لأنّ الأخ المؤلّف انتقل فيها من ضمير الغائب الذي كان ينقل عنه إلى ضمير المتكلم. **(موقع معهد الإمامين الحسنَين)**

مراسم العزاء في الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة

المواكب العزائيّة في إيران كانت قائمة وقوية منذ أيام الدولة الصفويّة حتّى الحكم البهلوي البائد؛ بحكم أنّ الشعب الإيراني غالبيته العظمى يدين بمذهب أهل البيت عليهم السلام.

لو ألقينا نظرة تأريخية سريعة على المواكب العزائيّة في إيران نرى بأنّ لها تأريخ ولها حاضر عريق. من الملاحظ تاريخياً أنّه بعد استشهاد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في طوس تبلورت حركة إقامة المناحات وحفلات العزاء على الإمام الشهيد في إيران، وتطوّرت بتطوّر سياسة الحكومات التي كانت تتولّى السلطة في أنحاء إيران ومناطقها المختلفة بين القوّة والضعف.

فكانت هذه الحركة تسير سيرها المدّي في بعض الأصقاع التي كانت تحكمها السلطة الموالية لآل بيت النبي صلى الله عليه وآله، كالأمراء البويهيين، وتسير سيرها الجزري في الأقاليم الأُخرى التي تتولّى السلطة فيها حكومة تعادي العلويين وتناهضهم.

وقد استمرت هذه الحالة إلى أن استولى على الحكم في إيران الملوك الصفويّون الذين استطاعوا أن ينشئوا في إيران حكومة مركزية تسيطر على جميع الأقاليم الإيرانيّة، وأن يوجدوا في هذه البلاد وحدة متماسكة تحكمها حكومة مركزية قوية واحدة هي الدولة الصفويّة.

وقد اهتم ملوك هذه الدولة الشيعيّة اهتماماً عظيماً بالعزاء الحسيني ومأتمه في داخل البيوت وخارجها، وفي المساجد، والتكايا، والمعابد، والأسواق، والشوارع، والساحات العامة، وحتى في البلاط ودوائر الدولة، كما تنوّعت وتشعّبت أساليب هذه المناحات وعمّت جميع طبقات الشعب، وأصبحت تقاليد متأصّلة في النفوس.

كما إنّ الحكومات التي خلفت الدولة الصفويّة في إيران كالأفشارية والزندية سارت على نفس نهج تلك الدولة في إحياء هذه الذكرى الحزينة، وإقامة شعائرها، ومتابعة تقاليدها، وخاصة على عهد الملوك القاجاريين وحتّى الوقت الحاضر.

ولكن تعززت هذه الشعائر أكثر فأكثر، وتطوّرت في ظل الجمهورية الإسلاميّة تحت أجواء الحرية، وسقف الدولة الشيعيّة بقيادة المراجع العظام؛ حيث أصبح المعزّون في ممارسة طقوسهم لإحياء الشعائر ينعمون بالأمن والأمان والاستقرار؛ لذلك ظهرت في إيران الإبداعات والاستحداثات بشكل إبداعي وفني. هذا ما لمسناه من خلال متابعتنا لسير المواكب المنظمة والكبيرة على مستوى حجم اتساع المدن الإيرانيّة، وحجم تعداد السكان، وظهرت هذه الفنون لإحياء الشعائر العزائيّة على مستوى عالمي.

وفي تاسوعاء وعاشوراء والأربعين في يوم العشرين من صفر في كلّ عام تتدفّق حشود المعزّين الإيرانيين - وتقدّر بالملايين - من مختلف مناطق إيران على إحياء مراسم العزاء بقرب العتبات المقدّسة الشريفة في مشهد وقم؛ فتخرج المواكب من هناك موحدة، وكلّ الزائرين الإيرانيين يشتركون في المسيرات العزائيّة، ويخلقون جوّاً عاطفياً ليس له مثيل بالبكاء والجزع والعويل لمدّة ثلاثة أيام، ثمّ يعودون لمناطقهم وقراهم.

أيضاً في ظلّ هذه الدولة الإسلاميّة الشيعيّة المباركة (حفظها الله من كلّ سوء ومكروه) تقيم بعض وزارات الدولة؛ كوزارة الدفاع، وقوى الأمن والشرطة، والتربية والتعليم، بالإضافة إلى مؤسسة الحرس الثوري والبسيج مهرجانات واحتفالات؛ احتفاء بذكرى عاشوراء أيضاً.

هذه المؤسسات والوزارت تنظم مواكب عزائية كبيرة في العاصمة طهران؛ كموكب الحرس الثوري، وموكب الجيش، وموكب البسيج، وموكب طلبة جامعة طهران، وما إلى ذلك من المواكب؛ كلّ ذلك تعظيماً وتخليداً للشعائر الحسينيّة التي أمر وندب الأئمّة الأطهار عليهم السلام بإحيائها.

مراسم العزاء الحسيني في لبنان

جاء في الصفحة (١٤٩) من كتاب حفظ جبل عامل للعلامة المرحوم السيد محسن الأمين ما عبارته: (حسينيات جبل عامل - جمع حسينيّة - وهي بمثابة تكية منسوبة إلى الإمام الحسين السبط الشهيد؛ لأنّها تُبنى لإقامة عزائه فيها. وأصل الحسينيات من الإيرانيين والهنود، بنوها في بلادهم وبنوها في العراق أيضاً، ووقفوا لها الأوقاف، وجعلوا لكلّ منها ناظراً وقوّاماً.

وهي عبارة عن دار ذات حجر وصحن، فيها منبر يأوي إليها الغريب، وتُقام فيها الجماعة، وينزلها الفقراء، ويُقام فيها عزاء سيد الشهداء في كلّ أسبوع، في يوم مخصوص، وفي عشرة المحرّم، وتختلف حالتها في الكبر والصغر، والإتقان، وكثرة الريع باختلاف أحوال منشئيها، وهذه لم تكن معروفة قبل عصرنا في جبل عامل ...) إلخ.

ويستطرد السيد فيقول: (وأوّل حسينيّة أُنشئت في جبل عامل، هي حسينيّة النبطيّة التحتا، ثمّ أُنشئت عدّة حسينيات في صور، والنبطيّة الفوقا، وكفر رمان، وبنت جبيل، وحاروف، والخيام، والطيبة، وكفر صبر، وغيرها ...) إلخ.

وتجمع الشيعة في جبل عامل وقراه ساعد كثيراً بمرور الأيام على انتشار مجالس العزاء الحسيني وإقامة النياحات فيها، وإحياء هذه الذكرى المؤلمة على طول السنة، وخاصة في شهري محرّم وصفر، وبالأخص العشرة الأولى من المحرّم.

وفي سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م قرّرت الحكومة اللبنانية جعل يوم عاشوراء - أي العاشر من محرّم كلّ سنة - عطلة رسمية في جميع أنحاء لبنان، تُعطل فيها جميع الدوائر الرسمية، والمؤسسات الأهلية، والأسواق والأعمال.

وهذه هي المرّة الأولى في تاريخ لبنان تقدم فيه حكومة لبنان على جعل يوم عاشوراء الحسين عليه السلام يوم عطلة رسمية، كما أفادت الأنباء أنّ سكان مدينة (النبطيّة) في لبنان التي يُقيم الشيعة بصورة خاصة في محرّم كلّ سنة فيها ذكرى مهيبة لمصرع الإمام الحسين عليه السلام ولعزائه المقدّس.

ومنذ نهاية ١٩٨٩م وبداية ١٩٩٠م بدأت حركة المواكب العزائيّة في مختلف المدن والقرى اللبنانية الشيعيّة تتطوّر وتتطوّر؛ فبدل أن يخرجوا من مدنهم ومناطقهم أخذوا يقيمون مراسم العزاء فيها؛ فتوسعت دائرة المواكب في مدينة صور، وقرى الجنوب، والنبطيّة، وبيروت، وأمّا في الضاحية الجنوبيّة فحدّث ولا حرج.

فيوم العاشر من المحرّم فيها له لون آخر؛ حيث يسير في شوارعها موكب مهيب تعداده أكثر من مئتين وخمسين ألف نسمة؛ يلطمون الصدور تارة، ويلطمون الخدود أُخرى، ويضربون الرؤوس ثالثة، وبشكل متناسق، ويصرخون بشعارات أبيّ الضيم عليه السلام « **هيهات منّا الذلة!** »، و (يا حسين).

تلك الصرخة التي أشاد بها إمامنا الصادق عليه السلام بقوله: « **اللّهم ارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي حزنت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا ...** ».

ولا يخفى ما لهذه المواكب من تأثير سحري في تقوية عقيدة الناس؛ إذ إنّ الأهازيج الحزينة المترافقة مع لدمات الصدور المشوبة بالأسى لا شك أنّها تكهرب الشعور الإنساني بشحنات عاصفة من الولاء؛ ممّا يحوّل الجو إلى انفجار عاطفي مشحون بالبكاء والذكريات والخواطر، ويردّدون نداء مولاهم الحسين عليه السلام في يوم العاشر « **هل من ناصر ينصرنا؟** »، و (لبيك يا حسين).

وهكذا الحال في بعلبك وسائر المدن اللبنانية الأُخرى، وبالتالي أصبحت لبنان في شهري محرّم وصفر وباقي المناسبات الحزينة للمعصومين عليهم السلام حافلة بالأحزان، والسواد والحداد، فحفظ الله لبنان وأهله من كلّ سوء.

وهكذا يستمر عشاق الحسين عليه السلام في باقي بلدان العالم يقيمون المآتم ومراسم العزاء العاشورائي في كلّ من روسيا، والأردن، والسويد، وبريطانيا، وأمريكا، وماليزيا، وبلغاريا، وتركمانستان، وآذربيجان، والصين، واليابان، والفلبين، وفرنسا، وطاجيكستان، واليونان، وبلجيكا، والدنمارك، وساحل العاج، وتنزانيا، وألمانيا، وعدد آخر من دول العالم.

وهذه المواكب المقدّسة نراها في كلّ عام تزداد، وتتضاعف أعداد المعزّين بكثافة، والكلّ يتشرّف ويكتب على ملابسه السوداء يا حسين، يا شهيد، يا مظلوم، والكلّ يلطم على رأسه وصدره ويهتف: (لبيك يا حسين)، ويردّد هذا الشعار المقدّس (أبد والله لا ننسى حسينا).

أمّا شعار الرفض والتحدّي والصمود الذي تردّده الحناجر الولائية في المواكب العزائيّة الحسينيّة باستمرار وفي كلّ عام، هو هذا البيت الرثائي الذي لا يفارق الذاكرة أبداً:

لـــو قطّعـــوا أرجلنـــا واليـــدين نأتيـــك زحفـــاً ســـيدي يـــا حســـين

الزيارة المليونيّة ومواكب الأربعين

سمّيت الزيارة المليونيّة بهذا الاسم وبهذا العنوان الكبير؛ لأنّ أكثر من تسعة ملايين زائر من مختلف البلدان الإسلاميّة يتوجّهون ويلتحقون بالمواكب العزائيّة في كلّ عام من عاشوراء، ويوم أربعينية سيد الشهداء عليه السلام في يوم العشرين من صفر. وأُطلق عليها هذا الاسم بعد أن سقط النظام البعثي الصدامي وزال عن العراق؛ فقد شعر شيعة أهل البيت عليهم السلام بنوع من الحرية، فكان لهم هذا الامتداد المليوني العالمي.

ولهذه الزيارة والمواكب العزائيّة المقدّسة - وفق الله تعالى شيعة أمير المؤمنين عليه السلام في العراق على إحيائها سيراً على الأقدام، ولمسافات بلغت مئات الكيلو مترات؛ رجالاً ونساءً، وأطفالاً ومعوقين، الجميع اتجهوا صوب عاصمة الدنيا أيام زيارة الأربعين.

ولقد رأينا وتابعنا القنوات الفضائية الشيعيّة التي تابعت الموضوع مفصّلاً، وقامت بالتغطية اللازمة والمطلوبة لهذا الحدث التأريخي العالمي الذي لم يحصل له مثيل في تاريخ البشرية كلّها. ونحن بدورنا نشكر الرجال الحسينيين الذين بذلوا الجهود المخلصة من أجل إيصال صوت الحسين عليه السلام وقضيته إلى العالم.

زيارة الأربعين والتفاعل الجماهيري

لماذا تتقاطر الملايين على كربلاء لزيارة الأربعين؟

الجواب: لأسمى غايات وقيم معنوية جوهرية محببة، أذكر أهمها:

الأولى: لنيل فضل الزيارة والأجر الكبير والثواب الجزيل.

الثانية: لمواساة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

الثالثة: لتجديد الولاء للحسين عليه السلام.

الرابعة: للالتزام بقيم وأهداف الثورة الحسينيّة المقدّسة.

الخامسة: للتحدي للظلم والظالمين، والتركيز على مظلومية الحسين عليه السلام.

السادسة: لأجل ألطاف الشفاعة في الآخرة.

السابعة: لإظهار المودّة القلبية التي أمر الله تعالى بها لقرابة النبي صلى الله عليه وآله، لقوله: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

الثامنة: لإحياء ذكرى إعادة رأس الحسين عليه السلام إلى جسده بعد أربعين يوماً، حيث يجدّدوا عند قبره العزاء ويقيموا عليه النياحة.

قال أبو الريحان البيروني: في العشرين من صفر ردَّ رأس الحسين إلى جثته حتّى دُفِن مع جسده الطاهر. الآلوسي عن موضع رأس الحسين **عليه السلام** رثى واستعبر وقال:

لا تطلبوا رأسَ الحسين ... نِ بشرقِ أرضٍ أو بغربِ

ودعوا الجميع وعرّجوا ... نحوي فمشهده بقلبي[1]

ومن قصيدة للعلاّمة عبد الهادي مطر النجفي يخاطب في أبياتها الإمام الحسين عليه السلام، يقول:

قم وانظر البيتَ الحرام ونظرة ... أُخرى لقبركَ فهو حجٌّ أكبرُ

اصبحتَ مفخرةَ الحياةِ وحقّ لو ... فخرت بهِ فدمُ الشهادةِ مفخرُ

هذي دموعُ الزائرين فروّ من ... عبراتها كبداً تكادُ تفطَّرُ

واعطف عليها يا أبا اللطفِ انّها ... ودَّت لو انَّكَ في الأضالعِ تقبرُ[2]

---

(١) الآثار الباقية ١ / ٣٣١.

(٢) وذكر ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ / ١٥٤ أنّه لما سُئل أبو بكر.

المواكب تحت عناية الإمام الحجة (عج)

المواكب الحسينيّة تحت عناية وألطاف الإمام صاحب العصر والزمان (عج).

الموكب الحسيني هو عبارة عن التحرّك الجماهيري للأمّة بقيادة الإمام المعصوم أو نائبه في عصر الغيبة الكبرى، من أجل تحقيق أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام. وإنّ هذه المسيرات العزائيّة المليونيّة التي نشاهدها اليوم تخرج من هنا وهناك في المواسم العاشورائية وغيرها من المناسبات الرثائية للمعصومين عليهم السلام كلّها خاضعة تحت رعاية وعناية صاحب العزاء الإمام المهدي (عجّل الله فرجه)، فدع ذلك الناصبي المشكك يشكك، ودعه يقول فينا ما يشاء من - عظّم الله أجرك يا صاحب الزمان - تفريغ سمومه وأحقاده وسبابه.

إلاّ إنّ عقيدتنا - نحن الإماميّة - أنّ إمامنا المعصوم الثاني عشر المهدي الموعود (عجّل الله فرجه) هو الذي يتولّى أمر عزاء جدّه المظلوم، ويديره هو وأبداله إدارة محكمة، ويلهب الحماس الحسيني في صفوف المعزّين والزائرين والباكين على الحسين عليه السلام.

كيف لا يكون كذلك وهو القائل في زيارة الناحية: **" فلئن أخّرتني عنك الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً؛ حزناً عليك، وتأسّفاً على ما أصابك "؟**

إلى أن يذكر مصرع جدّه الحسين عليه السلام ويقول: **" فهويت إلى الأرض جريحاً، تطؤك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاة ببواترها، قد رشح للموت جبينك، واختلفت بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك، وأسرع جوادك إلى الخيام محمحماً داعياً، وبالظليمة منادياً. فلمّا رأت النساء جوادك مخزيّاً، ونظرنَ سرجك عليه ملوياً، برزن من الخدور على الخدود لاطمات، وبالعويل داعيات، وبعد العزّ مذلّلات، وإلى مصرعك مبادرات.**

والشمر جالس على صدرك، وملوع سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، وذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك، واختفت أنفاسك، ورفع على القناة رأسك، وسُبي أهلك كالعبيد، وصفدوا في الحديد فوق أقتاب المطيات، تلفح وجوههم حرّ الهاجرات، يُساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق، يُطاف بهم في الأسواق، فالويل للعصاة الفسّاق! لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطّلوا الصلاة والصيام، ونقضوا السنن والأحكام، وهدموا قواعد الإيمان، وحرّفوا آيات القرآن ".

يا أحباب الإمام الحسين عليه السلام ، ويا جنود الإمام المهدي المنتظر (عجّل الله فرجه)، أكتفي بهذا القدر اليسير من مقاطع هذه الزيارة المقدّسة المبكية، المحزنة المفجعة، التي صوّر لنا الإمام (عجّل الله فرجه) فيها شهادة جدّه الحسين عليه السلام الدامية، وما جرى على بنات الرسالة من ظلم وهتك، وسبي وتنكيل.

وأتمنى من كلّ قلبي الموفقية لكلّ خدمة المواكب الحسينيّة في كلّ أنحاء العالم، ورزقنا الله وإياهم في هذه الدنيا زيارة الحسين عليه السلام ، وفي الآخرة شفاعته، وأن يجعلنا من الفائزين.

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين

الفهرس

الإهداء ٢

مقدّمة المؤلّف ٣

هدف المواكب الحسينيّة ٤

أوّلاً: الهيبة المميّزة في النفوس ٤

ثانياً: العزاء الحسيني يذوّب الكبرياء من النفوس ٤

ثالثاً: مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام وتأثيرها العاطفي على النفوس ٥

المنشأ التأريخي للمواكب العزائيّة ٥

أبرز مظاهر العزاء الحسيني ٨

أوّلاً: استحباب الحداد ٨

ثانياً: لبس السواد ونزع الزينة ٩

ثالثاً: اللطم على الصدور والرؤوس ٩

رابعاً: ضرب الظهر بالزنجيل ١١

خامساً: التطبير وضرب القامة بالسيف ١٢

دماء الشيعة رخيصة للحسين عليه السلام ١٥

سادساً: القصائد الرثائيّة الحسينيّة ١٧

سابعاً: تمثيل الشبيه وتصوير الحدث ١٨

ثامناً: الرايات والأعلام العزائيّة الملوّنة ١٩

تاسعاً: اللوحات الفنّية للرسّامين والخطّاطين ٢٠

ماذا يرسم لنا الرسام في المواكب العزائيّة؟ ٢١

ركضة عزاء (طويريج) المشهورة لدى شيعة العراق ٢٣

حلقة عزاء ذي الجناح المشهورة لدى شيعة البحرين ٢٦

تأمّلات واقعية واعية في موكب ذي الجناح ٢٧

متى تأسس موكب ذي الجناح؟ ولأيّ هدف وجد هذا الموكب؟ ٢٧

موكب عزاء حديث خاص للصم والبكم في البحرين ٢٨

متى بدأ موكب الصم والبكم، وكيف كانت انطلاقته؟ ٢٩

فائدتنا من إقامة العزاء الحسيني ٣٠
الرادود الحسيني وأثره في المعزّين ٣٣
لماذا كلّ هذه المؤهّلات مطلوبة في شخصية الرادود؟ ٣٣
تفعيل لجان المواكب العزائيّة ٤٠
التطوع المستمر ضمان للاستمرارية ٤١
عالمية العزاء الحسيني ٤٢
مراسم العزاء في (تايلند)..... ٤٢
مراسم العزاء في العاصمة البريطانية (لندن) ٤٣
مراسم العزاء في (إندونيسيا) ٤٥
مراسم العزاء في (البحرين)..... ٤٦
مراسم العزاء في (باكستان)..... ٤٨
مراسم العزاء في (الهند)..... ٤٩
مراسم عاشوراء في مدينة بنجلور الهندية..... ٥٠
مراسم العزاء في أفغانستان..... ٥١
مراسم العزاء الحسيني في تركيا ٥٢
مراسم العزاء في الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة..... ٥٣
مراسم العزاء الحسيني في لبنان..... ٥٥
الزيارة المليونيّة ومواكب الأربعين ٥٨
زيارة الأربعين والتفاعل الجماهيري ٥٩
المواكب تحت عناية الإمام الحجة (عج) ٦٠